الوليد بن يزيد

حياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته ابو العباس وأمه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي بنت اخي الحجاج بن يوسف وفيه يقول أبو نخيلة :

بين أبي العاصي وبين الحجاج بالكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن جداته ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي عليه السلام ، كان يفتخر بها إذ يقول :

نبيُّ الهدى خالي ومن يكُ خالَه   نبيَّ الهدى يقهرْ به من يفاخرُ

ولد الوليد بدمشق حوالي سنة تسعين للهجرة ونشأ في قصر ابيه يزيد بن عبد الملك ويزيد هذا من فتيان بني امية وأول خليفة منهم عرف بالشراب ومعاشرة القيان وحب الغناء فشب ابنه الوليد مستهتراً فيما ذكر . وعهد بأمر تأديبه الى يزيد بن ابي مساحق السلمي والى عبد الصمد بن عبدالاعلى الشيباني ، وكلاهما اديب شاعر ؛ ولكن عبد الصمد كان معروفا بالشراب يتهم بالمجون ويرمى بالزندقة فتأدب عليهما وتخرج بهما

ولما كانت سنة اثنتين ومائة عهد يزيد بن عبد الملك بولاية العهد الى أخيه هشام ابن عبدالملك ، ثم الى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، وتزوج في حياة أبيه سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفي سنة خمس ومائة توفي يزيد بن عبد الملك ، وأفضت الخلافة الى هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد ، والوليد يومئذ في عنفوان صباه فعكف على اللذات ولها بالشراب وكلاب الصيد ، وجاهر بالمجون ، واتخذ ندماءه من الظرفاء والخلعاء ، فتغير عليه هشام بعد أن كان مكرماً له ، وأراد أن يقطع أصحابه عنه ، فولاّه الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وظهر منه تهاون بأمور الدين ، فلما عاد وبلغ ذلك هشاماً ، اغتاظ وقال له : يا وليد ! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير متحاش ، فكتب اليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجةً ... بالسخن أحياناً وبالفاتر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام · وطمع هشام بخلع الوليد وجعل ابنه مسلمة ولياً للعهد وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال : اجعله بعدك فأبى ، فتنكر له هشام ، وصار يعيبه وينتقصه ويقصر به ، فترك الوليد دمشق وخرج مع ناس من خاصته ومواليه ، فنزل الازرق على ماء يقال له الاغدف بالاردن ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى ، فشربوا يوماً فلما اخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ! قل أبياتاً ، فقال :

ألم ترَ للنجم إذ شُيّعا ... يبادر في برجه المرجعا
تحير عن قصد مجراته ... أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه ... وقد لاح إذ لاح لي مطمعا :
لعل الوليد دنا ملكه ... فأمسى اليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه ... كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الامور ... طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه وقال فيه :

لقد قذفوا ابا وهب بأمر ... كبير بل يزيد على الكبير

فأشهدُ أنهم كذبوا عليـه شهادة عـالم بهم خبـير

وكتب الوليد الى هشام يعلمه بإخراج عبدالصمد، ويعتذر اليه مما بلغه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد، فضرب هشام ابن سهيل وسيره، واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار اليه، فضربه ضربا مبرحا والبسه المسوح وقيده وحبسه، فغم ذلك الوليد وقال: «من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشئوم قدمه أبي على أهل بيته فصيره وليّ عهده ثم يصنع بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحد هوى الاعبث به، كتب اليّ ان اخرج عبد الصمد فاخرجته، وكتبت اليه ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليّ فضربه وسيره، وقد علم رأيي فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه اليّ وتحرمه بي وانه كاتبي فضربه وحبسه يضارّني بذلك، اللهم اجرني منه» وقال في ذلك أبياتا اولها:

انا النذير لمسدي نعمة أبداً الى المقاريف ما لم يخبروا الدخلا

كما انه كتب الى هشام يعاتبه ويقرعه بأبيات أولها:

كفرت يدا من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنِ

ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. فلما كانت صبيحة اليوم الذي جاءه فيه البشير بالخلافة قال لاحد اصحابه: ما أتت عليّ ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت عليّ هموم وحدثت نفسي فيها بأمور هذا الرجل يعني هشاما، فاركب بنا نتنفس فركبا فسار ميلين ووقف على كثيب وجعل يشكو هشاما اذ نظر الى رهج فقال: هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان، فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعل احدهما يكرر عليه السلام بالخلافة، فقال ويحك أمات هشام؟ قال نعم، قال: فممن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل.

واظهر الوليد الشماتة بموت هشام وضيق على ولده وعياله وحشمه. قال حكم الوادي المغني: كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهنيء بالخلافة واتاه القضيب والخاتم، فامسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة، فقال غنوني:

طاب يومي ولذ شرب السلافه　　اذ اتانا نعيّ من بالرصافه
واتانا البريد ينعي هشاماً　　واتانا بخاتم للخلافه
فاصطبحنا بخمر عانة صرفا　　ولهونا بقينة عزافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغنى في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغني الى الليل ·

وللوليد اشعار اخرى في الشماتة بهشام منها قوله :

ليت هشاماً عاش حتى يرى　　مكياله الأوفر قد طبّعا
كلناه بالصاع الذي كاله　　وما ظلمناه به اصبعا
وما اتينا ذاك عن بدعة　　احله الفرقان لي اجمعا

وقوله :

هلك الأحول المشو　　مُ فقد ارسل المطر
ثمت استخلف الوليد　　م فقد اورق الشجر
فاشكروا الله انه　　زائد كل من شكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت بيعة الوليد يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشر ومائة ، وكان من فواتح اعماله أن اجرى على زمنى اهل الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد الناس في العطاء عشرات ، ثم زاد اهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ، ولم يقل في شيء يسأله لا ، وفي افضاء الخلافة اليه يقول :

ألا ايها الركب المخبّون أبلغوا　　سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا اتاكم اشبه الناس سنة　　بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم انلم تعقني عوائق　　بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة　　واعطية مني عليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم　　به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

وعقد في تلك السنة البيعة من بعده لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليّي عهده وجعل الحكم مقدما ، وازداد تماديا باللهو واللذة والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة المجان

وتقريب المغنيين ، وقسا على بني عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك ، واسر بقتل خالد بن عبد الله القسري زعيم اليمانية بالشام ، وجعل يكره المواضع التي فيها الناس فينتقل للصيد مع ندمائه فثقل ذلك على الناس وكرهته اليمانية ، وهم اعظم جند في الشام ، فضلاً عن سخط بني عمه فرموه بالزندقة ، وكان اشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجمع على قتله جماعة من قضاعة واليمانية من اهل دمشق خاصة ، واتت اليمانية يزيد ابن الوليد فارادوه على البيعة ، وكان اذ ذاك متبدياً فقبل منهم ، على كره من عقلاء بني مروان كمروان بن محمد والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فلما اجتمع ليزيد امره اقبل الى دمشق متنكرا فدخلها ليلا ، وقد بايع له اكثر اهل دمشق سرا ، ثم دخل اعوانه فاظهر امره والوليد يومئذ بالأغدف من عمان ، ونادى يزيد بالناس لمقاتلة الوليد ، فلما علم الوليد بذلك قال له بعض اصحابه : سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود الى يزيد فيقتل او يؤسر ، وقال بعضهم ماينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره ، فقال له سعيد بن الوليد الكلبي : يا امير المؤمنين تدمر حصينة وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما ارى ان نأتي تدمر واهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ ، ولكن دلني على منزل حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : اكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : اكره اسمه ، قال : فهذا البخراء قصر النعمان بن بشير ، قال : ويحك ما اقبح اسماء مياهكم ! ثم اقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين وقال :

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ
اذا ما همُ همّوا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وقال له بيهس بن زميل : أما إذ أبيت أن تمضي الى حمص وتدمر ، فهذا الحصن البخراء فإنه حصين فانزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يراد بك أشد من الطاعون ، فنزل البخراء شرقيّ حمص وعلى أميال من تدمر ، وقال : أخرجوا لي سريراً ، فجلس عليه وأخرج لواء مروان بن الحكم وقال : أعليّ توثب الرجال ، وأنا أثب على الاسد وأتخصر الافاعي؟ واشتبك أصحابه وأصحاب يزيد ، ثم تفرق أصحاب الوليد عنه بمكيدة ، فثبتَ وقاتل قتالاً شديداً ، فسمع رجلاً يقول : اقتلوا عدوّ الله ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وأحاط اعداؤه بالقصر ، فدنا من الباب فقال : أما فيكم

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

رجل شريف له شرف وحياء أكما ؟ فقال له بعضهم : كلني ، فقال له : من أنت؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة السكسكي ، قال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعطِ فقراءكم ألم أخدم زمناكم ؟ فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ماحرم الله وشرب الخمر واستخفافك بأمر الله، قال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان في ما أحل لي لسعة عما ذكرت ، فرجع الى الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ، فعلوا الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة السكسكي ، فنزل اليه وسيف الوليد الى جنبه ، فقال له : نح سيفك ، فقال له الوليد : لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ، فضربه أحدهم على رأسه وآخر على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه من الدار ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه ، واحتز أحدهم رأسه وخاط الضربة التي في وجهه وقدم بالرأس على يزيد ، فأمر أن ينصب على رمح ويطاف به في دمشق . وكان مقتله يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، ويقال إنه حمل الى دمشق سراً ، ودفن بها ليلاً خارج باب الفراديس ، وحزن أهل حمص عليه حزناً شديداً ، فأغلقوا أبواب حمص وأقاموا النوائح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وكان يوم مقتله في قميص قصب وسراويل وشي ، فقال إياس بن الوليد الفزاري الشاعر ، وكان من أصحابه يرثيه :

نقلب في أثوابه وكأنما نقلب منه في الدماء قضيب

ورثاه ابن ميادة .

صفته واخلاقه

الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم، كان أبيض مشرباً حمرة ربعة جبيلاً ، من أصبح الناس وجهاً وأنبلهم قد وخطه الشيب قال :

انما هـاج لقلبي شجوه بعد المشيب

وكان شديد البطش طويل اصابع الرجلين من اقوى الناس جسما فكان لقوته يوتد له سكة حديد فيها سير ويشد السير في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة، وهو كثير العناية بترويض جسمه فكان اذا ركب وثب على الدابة وثباً دون ان يمسها بيده، وقد كان يتأنق بملابسه كثيراً من حيث انواعها والوانها واصنافها يحب الخز والوشي والقصب والمزركش، ويميل الى الالوان المشرقة كالاحمر والاصفر ويضع على رأسه قلنسية وشي مذهبة ويعتم بالخز ويلبس حلل الوشي والغلائل الموردة والمطارف والقباء والدراعة والسراويل والازر والاردية والريطات ويتقلد سيفا ويغير ثيابه في اليوم الواحد مرارا، وكان يتطيب ويتزين بالجوهر ويغالي به فيتختم بالياقوت ويحمل بيده عقداً من الجوهر ويلبس عقودا منها ويغيرها في اليوم مرارا كما يغير ثيابه .

قال حماد الراوية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً . وقال عطرد المغني : رأيت الوليد وعليه حلة وشي كانت تلتمع بالذهب التماعا . وقال أبو كامل مولى الوليد : برز الينا الوليد وعليه غلالة موردة . وقال حكم الوادي المغني : رأيت الوليد وعليه دراعة وشي وبيده عقد جوهر . وقال عبد الصمد الهاشمي : انما اغلى الجوهر بنو امية، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما تغير الثياب . وكان يجمعه من كل وجه ويغالي به . وقال عمر الوادي المغني : رأيت الوليد بن يزيد وفي يده خاتم ياقوت احمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه . وذكر خمار في الحيرة انه رأى الوليد متلثما بعمامة خز . ووصف الطبري الوليد حين خرج يقاتل اصحاب يزيد بن الوليد فقال : خرج على برذون كميت عليه قباء خز وعمامة خز محتزمة بريطة دقيقة قد طواها وعلى كتفيه ريطة صفراء فوق السيف . وروى ابن عساكر عمن دخل على الوليد يوم مقتله انه قال : دخلت القصر فاذا الوليد قائم في قميص قصب وسراويل وشي : وكان الوليد معجبا بنفسه مدلاً بجماله مزهواً بشبابه يتغزل بنفسه كما يتغزل بالفتيات الحسان ويصف حبهن له وتهافتهن عليه ، قال :

قامت اليّ بتقبيـل تعـانقني ريّا العظام كأن المسك في فيها

ادخل فديتك لا يشعر بنا احد نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لا نوم على مرر من شدة الوجد تدنيني وادنيها
حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا احد والله عني بحسن الفعل يجزيها

وقال على لسان سلمى بنت سعيد اخت زوجه :

إقر مني على الوليد سلاما عدد النجم قلْ ذا للوليد
حسدا ما حسدت اختي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

وقال :

في فتية من بني امية اهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتمٍ لمثل ابي

وكان منذ حداثته ميالا للهو والصيد يحب الخيل ويرتبط الكلاب، كما كان يحب معاشرة الظرفاء ومنادمة الادباء والخلعاء والمجان وسماع الغناء ومجاراة اهواء النفس كمعاقرة الخمر ومعاشرة الحسان ومغازلتهن والتشبيب بهن، وهو الذي يقول :

اشهد الله والملائكة الابـ رار والعابدين اهل الصلاحِ
انني اشتهي السماع وشرب الـ كأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى عليَّ بالاقداح

واخبار غرامه وتهتكه وهو ولي العهد طريفة . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : كان الوليد بن يزيد نظر الى جارية نصرانية من اهيأ النساء يقال لها سفرى، فجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيداً للنصارى قد قرب وانها ستخرج فيه مع النساء الى بستان حسن، فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر اليها فتابعه وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ودخلت سفرى البستان فجعلت تمشي حتى انتهت اليه فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ فقال لها رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها ، فقال لها صاحب البستان : ويلك اتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت لا ، فقال لها : هو الوليد بن يزيد، وانما تقشف حتى ينظر اليك ، فجنت إليه بعد ذلك ، وكانت عليه احرص منه عليها ، وقال الوليد في ذلك :

اضحى فؤادك يا وليدُ عميدا   صباً كئيباً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة   برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت ارمقها بعيني وامق   حتى بصرت بها تُقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى   منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه   وأكونَ في لهب الجحيم وَقودا

فلما ظهر امره وعلم الناس قال :

ألا حبذا سفري وان قيل انني   كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليّ ان نظل نهارنا   الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

واحب الوليد سلمى بنت سعيد فكانت تحتجب منه · قال صاحب الاغاني : خرج الوليد لعله يراها فلقيه زيّات مع حمار عليه زيت ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سعيد فنادى من يشتري الزيت ؟ فاطّلع بعض الجواري فرأينه فدخلن الى سلمى وقلن : إن بالباب زياتا اشبه الناس بالوليد فاخرجي وانظري اليه فخرجت فرأته ورآها فرجعت القهقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ، وقد رآني فقلن له: لا حاجة بنا الى زيتك فانصرف وقال :

انني أبصرت شيخا   حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخ   من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعا   خاسرا غير ربيح

وقال ايضاً :

فما مسك يُعَلّ بزنجبيل   ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى   ولا مافي الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي   وثاق الباب دوني واطراحي

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق الى الحيرة لانه بلغه خبر خمّار بريق نظيف جيد الخمر هناك ، قال ابن عساكر : حدث خمار كان بالحيرة قال : فتحت يوماً

حانوتي فاذا فوارس ثلاثة متلثمون بعمائم خز قد اقبلوا من طريق السماوة ، وكنت موصوفاً بالنظافة وجودة الخمر وغسل الاواني ، فقال لي أحدهم اسقني رطلا ، فقمت فغسلت يدي ، ثم نقرت الدنان فنظرت الى اصفاها فبزلته واخذت قدحاً نظيفاً فملأته ثم اخذت منديلا جديداً فسقيته ، فشرب وقال : اسقني رطلا آخر فسقيته في غير ذلك القدح ، واعطيته غير ذلك المنديل فشرب . وقال : بارك الله عليك فما اطيب شرابك وانظفك ! ما كان رأيي أن أشرب أ كثر ، فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي الى شرب آخر فهاته ، فناولته اياه على تلك السبيل ، وولى راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال اعذرنا ورمى الي أحد الرجلين اللذين كانا معه بصرة فيها دنانير ، وإذا هو الوليد بن يزيد أقبل من دمشق حتى شرب من شراب الحيرة وانصرف . وقد أنكر الاتقياء على الوليد منذ كان ولياً للعهد هذه الاعمال ، منهم الزهري وهو من العلماء الورعين دخل على هشام بن عبدالملك وقدح بالوليد وعابه وقال له : يا أمير المؤمنين مايحل لك الا خلعه فانفرجت الحال بينه وبين الوليد حتى برح الوليد دمشق مع خواصه الى الازرق ، وجعل في تلك البرية موطناً انس يقصدها الظرفاء والشعراء والادباء والمغنون من الشام والحجاز والعراق فضلا عن الاضياف والعفاة ، قال ابن جرير الطبري : كان الوليد وهو ولي عهد يُطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة ايام ويُعلف دوابهم وظل على تلك الحال الى أن توفي هشام وبويع بالخلافة فكان شعاره قوله :

كللاني توجاني وبشعري غنياني
انما الكأس ربيع يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وجعل قصره جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين استدعى اليه من جميع الاقطار القيان والمغنين والشعراء ورواة الشعر والادباء والظرفاء والعلماء والمجان ، ذكر ابن جرير الطبري ان الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيار عامل خراسان يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير واباريق ذهب وفضة ، وان يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها وكل بازي وبرذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه ، فلم يدع نصر بخراسان

جارية ولا عبداً ولا برذونا فارهاً الا اعده ، واشترى الف مملوك واعطاهم السلاح وحملهم على الخيل وأعد خمس مائة وصيفة واس بصنعة اباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤوس السباع والأيابل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد يستحثه فسرح الهدايا حتى بلغ اوائلها بيهق ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

ابشر يا أمين الله ابشر بتباشير
بإبل يُحمل المالُ عليها كالانابير
بغال تحمل الخمر حقائبها طنابير
ودل البربريات بصوت البم والزير
وقرع الدُّف احيانا ونفخ بالمزامير
فهذا لك في الدنيا وفي الجنة تحبير

قال صاحب الاغاني : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها اليه ، وارسل الى اشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال : ارقص وغنِّني شعراً يعجبني ، فان فعلت فلك الف درهم ، فغناه فأعجبه فأعطاه الف درهم .

واجتمع عنده من المغنين معبد وابن عائشة وابن سريج والغريض ومالك بن ابي السمح وعمر الوادي وحكم الوادي وابو كامل وخالد صامة والهذلي ويونس الكاتب واسماعيل بن الهربذ وعطرد والابجر ودحمان وغيرهم .

ومن الشعراء طريح بن اسماعيل الثقفي وابن ميادة والحسين بن مطير الاسدي واسماعيل بن يسار ويزيد بن ضبة وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ومروان بن ابي حفصة والقاسم بن الطويل العبادي وغيرهم .

واستدعى من الندماء المجان شراعة بن الزندبوذ ومطيع بن اياس الكناني وحماد عجرد والمطيعي المغني . قال صاحب الاغاني : بعث الوليد بن يزيد الى شراعة بن الزندبوذ ، فلما قدم عليه قال : ياشراعة اني لم استحضرك لاسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ، ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن ، قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً ، فقال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : ابن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما

شئت ، قال : فكيف علمك بالاشربة ؟ قال ليسألني أمير المؤمنين عما أحب ، قال فما قولك في الماء ؟ قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار ، قال : فاللبن ، قال ما رأيته قط الا ذكرت أمي فاستحييت ، قال : فالخمر ، قال : تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة ، قال : لله درك ! فأي شيء أحسن ما يشرب عليه ، قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه الماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً .

وقال لمطيع بن اياس : اي الاشياء اطيب عندك ؟ قال صهباء صافية تمزجها غانية بماء غادية ، قال : صدقت . واستدعى أيضاً حماد الراوية ليروي له شعر العرب . هـذه المجموعة النادرة من ذوي الأدب والفن والمواهب كانت تعمر مجالسه وفيهم يقول :

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي
وسقيتهـا معبداً وكل فتى فاضل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي
فـما لامني فيهم سوى حاسد جاهل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اضف الى هؤلاء باقة من محسنات القيان وحسان الوصائف تنفث السحر في أرجاء تلك المجالس . قال حماد الرواية : دعاني الوليد يوماً من الايام في السحر ، والقمر طالع ، وعنده جماعة من ندمائه ، وقد اصطبح ، فقال : أنشدني النسيب فانشدته أشعاراً كثيرة فلم يهش لشيء منها حتى انشدته قول عدي بن زيد :

أصبح القوم قهوة في الأباريق تحتذى
من كميت مدامـة حبذا تلك حبذا !

فطرب ثم رفع رأسه الى خادم ، وكان قائما كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف ستراً خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفاً وصيفة كأنهم اللؤلؤ المنثور في ايديهم الاباريق والمناديل ، فقال اسقوهم فمابقي احد الا سقي ، وأنا في خلال ذلك أنشد الشعر ، فمازال يشرب ويسقي الى طلوع الفجر ، ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط فالقونا في دار الضيافة فما أفقنا حتى طلعت الشمس . وقال صاحب الاغاني أيضاً : اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدينة فأحضر ، وبلغ الوليد قدومه

فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد بمقابله على حافة البركة ليس معهما ثالث ، وجيء بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد ، أتدري لم وجهت اليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فاحببت أن أسمع منك ، قال معبد : أغني ماحضر ام ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال بل غنني :

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ، ثم خرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الاولى ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غنني يا معبد :

يا ربع مالك لا تجيب متيما قد عاج نحوك زائراً ومسلما
جادتك كل سحابة هطالة حتى ترى عن زهره متبسما
لو كنت تدري من دعاك اجبته وبكيت من حرق عليه اذاً دما

فغناه ، واقبل الجواري يرفعن الستر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غنني :

عجبت لما رأتني اندب الربع المحيلا
واقفا في الدار ابكي لا أرى الا الطلولا
كيف تبكي لاناس لا يملون الذميلا
كلما قلت : اطمأنت دارهم ، قالوا : الرحيلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ، ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبداً ثم أقبل عليه الوليد فقال : يامعبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم اسرارهم . وقد يغلب عليه المجون فيسري باصحابه الى حيث يطيب لهم التصابي والغناء والخمر قال :

حبذا ليلتي بدير بونا حيث نسقى شرابنا ونغنى
كيف مادارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجونا والمستشار مُجنا

وكثيراً ما ترك دمشق الى اطراف البادية ونقل معه تلك المجموعة الفنية ، فكانت في البادية مدينة فن وجمال وسحر وشعر ، وهو يلهو ويصطاد ويعقد مجالس الانس والشراب والغناء قال :

ولقد قضيت وإن تجلل لمتي شيب على رغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمى ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوان وجوههم شم الانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يعطوا بها أو يطلبوا لا يدرَ كوا بترات

وقال :

أصبح اليوم وليد هائماً بالفتيات
عنده راح وابر يق وكأس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورماة لرماة

قال حماد الراوية يصف مجلسا من مجالسه في اطراف البادية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، واذا عنده معبد ومالك بن ابي السمح وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ثم قال لي انشدني :

امن المنون وريبها تتوجع

فانشدته حتى انتهيت على آخرها ، فقال لساقيه : يا سبرة اسقه ، فسقاني ثلاثة اكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل ، ثم قال يا مالك غنني :

الا هل هاجك الاظعا ن اذ جاوزن مطلحا

ففعل ثم قال له غنني :

جلا أمية عني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

ففعل ثم قال له غنني :

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام

ففعل ، ثم قال له يا سبرة أو يا أبا سبرة اسقني ... فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين الرجل الذي طلبت بالباب ، قال أدخله ، فدخل شاب لم أر شابا أحسن وجهاً منه في رجله بعض الفدع فقال يا سبرة اسقه فسقاه كأساً ، ثم قال له غنني :

وهي اذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه فنبذ اليه الثوبين ، ثم قال له غنني :

طاف الخيال فرحبا ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، انا مقبلون عليك بأقدرنا واسناننا ، وانت تركتنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة . وأفرط الوليد في الخلاعة والمجون والشراب حتى يولغ عنه في ذلك ، فروي أنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا غناه المغنون وشاعت به نشوة الكأس والطرب القى نفسه في البركة ، وكان معه من المغنين يوم قتل ابن عائشة ومالك بن أبي السمح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدبه وثقافته

لا نعرف من مؤدبي الوليد غير عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ويزيد بن ابي مساحق السلمي وكلاهما أديب شاعر ، ولكن الاول يتهم بالخلاعة والمجون ويرمى بالزندقة ويقال إنه هو الذي أغرى الوليد بالتهتك والمجون ، أما الثاني فقد كان متصونا بعيداً عما يرمى به عبد الصمد ولكنه لم يحظ عند الوليد كما حظي عبد الصمد الذي كان يرى فيه الوليد مؤدباً ونديما .

يظهر في شعر الوليد أثر من الثقافة الاسلامية كذكر القرآن وبعض الاحكام الشرعية كالحلال والحرام والبدعة ، قال يذكر القرآن في ارجوزة جعلها خطبة في

احدى الجمع ، وفيها مواعظ ونصائح كثيرة :

ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول

وقال من أبيات :

وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعا

وقد روى الوليد الحديث ، ولكن يظهر أن الناس تركوا الرواية عنه لخلاعته وتهتكه . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : « وممن يحدث من بني أمية الوليد بن يزيد ، ولم تقع له إلينا رواية » .

و كان معدوداً من الخطباء الفصحاء ، يخطب الناس في الجامع الأموي في الجمع والعيدين . قال الهيثم بن عمران : لما بويع الوليد سمعته على المنبر بدمشق يقول :

ضمنتُ لكم إن لم ترعني منيتي بأن سماء الضر عنكم ستقلعُ

وقال صاحب الأغاني : قيل للوليد : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله ولي الحمد أحمده في يسرنا والجهد

وأتم الأرجوزة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحفظ من كلامه قوله لهشام يوم توفي مسلمة بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين ! إن عقبى من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختل الثغر فوهى ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى » . ومن كلامه الفصيح قوله : « إن النعمة إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة ، واستقل العافية ، ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير ، وانكشفت عنه عماية الغي والسلطان ، ذل منقاداً ، وندم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له » .

وقوله : « يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل فعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ؛ أقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة ، وأشهى إلي من الماء الى ذي غلة ، ولكن الحق أحق أن يقال » .

وقيل له لما غلبت عليه لذاته : يا أمير المؤمنين ! إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، فقال : « ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وألزمناه من مفروض ذمامها ، أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه بسط لنا في النعمة ، ومكن لنا في المكرمة ، وأزكى لنا في الأمة ، ومدّ لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنتُ أنا المزيل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضرره ، ولا يؤذيها ثقله . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام » .

لم يكن الوليد محدثاً ولا فقيهاً ولا إخبارياً ، ولكنه كان شاعراً أديباً ظريفاً ، وفصيحاً حاضر الجواب ، كما كان مشغوفاً بالغناء ، عارفاً به وبآلاته . قال صاحب الأغاني : ومن غنى من الخلفاء الوليد بن يزيد ، وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدف ، على مذهب أهل الحجاز .

قال خالد صامة المغني : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

« أراني الله يا سلمى حياتي »

وهو يشرب حتى سكر ، ثم قال لي : هات العود ، فدفعته إليه ، فغناه أحسن غناء ، فنفست عليه إحسانه ، ودعوت بطبل ، فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل ، فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر ، فقلتُ : يا سيدي ! كيف أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنك ؟ فقال : اسكت ويلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قتل .

وقال صاحب الأغاني : لما قدم الوليد بن يزيد مكة ، سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج ، فقيل له : يحيى مولى العبلات المعروف بقيل ، فدعاه وقال له : امش لي بالدف ففعل ، ثم قال له : هاته حتى أمشي به فإن أخطأت فقومني ، فمشى به أحسن من مشية قيل ، فقال له : جعلت فداك ! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك .

ومن مشهور صنعته في شعره قوله :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا ستر لها دون لمس البنان

وقال عمر الوادي : دخلت على الوليد وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب ، فقال لي : اشرب ! فشربتُ ، وطرب وغنى صوتاً واحداً ، وأخذ دفافةً فدفف بها فأخذ كل واحد منا دفافةً يدفف بها .

وبلغ من حب الوليد للأدب والأدباء والرواة أن استدعاهم من كل طرف ، وأغدق عليهم العطايا كحماد الراوية وحماد عجرد . قال حماد الراوية استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدمتُ عليه ، فلما دخلت داره ، قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بالخلافة ، فقال لي : يا حماد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : « ثم ثاروا » ، فلم أدر ما يعني ، قال : ويحك يا حماد ! « ثم ثاروا » ، فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل ، ثم انتبهت ، فقلت :

ثم ثاروا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق
ثم فضّ الختام عن صاحب الدنـ ـن وقامت لدى اليهودي سوق
فسباها منه أشم عزيز أريحي غذاه عيش رفيق

الشعر لعدي زيد . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ، فقال : رديه ، فما أنصفناه ، تغدينا ولم نغده ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدر الكأس يميناً لا تدرها ليسار

فطرب ، وبرز إلينا وعليه غلالة موردة ، وشرب حتى سكر ، فأقمت عنده مدة ، ثم أذن بالانصراف ، وكتب لي الى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

وكان يستدعي المنجمين أيضاً ، قال حماد الراوية كنت عند الوليد يوما فدخل عليه رجلان كانا منجمين فقالا نظرنا فيما أمرتنا به فوجدناك تملك سبع سنين مؤيداً منصوراً يستقيم لك الناس ويجبى لك الخراج . فاغتنمتها وأردت ان أخدعه كما خدعاه

فقلت يا أمير المؤمنين كذبا نحن اعلم بالرواية والاثار وضروب العلوم منهما وقد نظرنا في هذا ونظر الناس فيه قديما فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفنا فأطرق الوليد ثم رفع رأسه الي فقال لا ما قال هذان يكسرني ولا ما قلت يغرني والله لاجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ولأصرفنه في حقه صرف من يموت في غد ٠

وكان الوليد مع شعره وأدبه وفصاحته ذكي القلب حاضر الجواب قال له يوماً العباس بن الوليد بن عبد الملك في مجلس هشام كيف حبك يا وليد للروميات فان أباك كان بهن مشغوفا قال اني لاحبهن وكيف لا احبهن ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالمجين مثلك وكانت أم العباس روميه ٠

مجونه وخلاعته ورميه بالزندقة

الوليد ماجن خليع متهتك وقد مضى في فصل اخلاقه وصفته ذكر لهوه وعبثه ٠ ولكن اخبار مجونه مبالغ فيها لان للسياسة يدا في تعظيمها وذلك أن خصومه الذين ثاروا عليه وخلعوه وقتلوه نسبوا اليه كل نقيصة ونحلوه من الشعر ما هو غاية في الفجور والتعهر وسقوط المروءة والالحاد مما لايمكن أن يصدر عن فتى نبيل وخليفة ابن خلفاء ، على أنه مهما تثبت الانسان في أخبار مجون الوليد وشك في بعضها فانه لا يستطيع أن ينفي عنه اللهو والخلاعة والتهتك فقد استقدم المجان والخلعاء حين ولي الخلافة من جميع الأطراف كاشعب وحماد عجرد ومطيع بن إياس والمطيعي وكان يفرط في الخمر حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا طرب رمى بنفسه بها وقد غاظت هذه الاعمال مؤدبه يزيد بن أبي مساحق السلمي فبعث اليه بقوله :

مضى الخلفاء بالأمر الحميد وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب اليه الوليد :

ليت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوة أبذل فيهـا طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها هائما في كل واد
ان في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

ورموه بالالحاد وأتهموه بالزندقة ونحلوه ابياتا في ذلك لا تجمل روايتها وقال بعضهم بل كان مانويا وزعم أنه رأى تمثال ماني عنده الى غير ذلك من التهم التي تبرر خلع خليفة وقتله وقد نفى عنه بعضهم كل ذلك . وهناك حادثتان يمكن أن يستأنس بهما الباحث في بعد الوليد من الالحاد والزندقة أولاهما أن اسم احد ابناء الوليد مؤمن والوالد عادة لا يدعو ابنه الا باحب الاسماء اليه فكيف يسمي الملحد أو الزنديق ابنه مؤمنا . والثانية هي أن الوليد على كرهه لهشام وأعمال هشام كان يصوبه في نفي القدرية ، والقدرية من الفرق الاسلامية التي نجمت في أيام بني أمية فاذا كان الوليد يتحرج من وجود القدرية في دمشق فكيف يرضى لنفسه أن يكون زنديقا . قال الطبري قال عمرو بن شراحيل سيرنا هشام بن عبد الملك الى دهلك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلم فينا فأبى وقال والله ما عمل هشام عملا ارجى له عندي أن تناله المغفرة من قتله القدرية وتسييره إياهم .

شعره

ابرز صفة في الوليد الشعر فهو في شعره اعظم منه في خلافته ولو لم يكن شاعرا لما استحق تلك العناية من الادباء والمؤرخين لأنه لم يكن بالخليفة العظيم ولا اشتهر بشيء مما اشتهر به اسلافه الخلفاء كدهاء معاوية وحزم عبد الملك وعدل عمر بن عبد العزيز فالشعر وحده هو الذي احيا ذكره بالرغم من ضياع أكثره وتشتيت ما بقي منه موزعا في كتب الادب . وتلك البقية من شعره يسيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة ومعانيها شخصية تترجم عن نفس الوليد في عبثها ولهوها وتبذلها وزهوها وغضبها وحزنها ويمكن اجمالها بالغزل ووصف الخمر والعتاب والفخر والرثاء والهجاء ونظم بعض الحوادث كعقد البيعة لولديه وخطبة الجمعة .

ومهما تبذل الوليد في بعض معانيه وغلبه المجون فان سمة النبل تلوح على شعره من خيث يريد ولا يريد كقوله :

كلاني توجاني وبشعري غنياني

وكقوله :

في فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتمٍ لمثل أبي

قال المأمون لجلسائه أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله أنه شعر ملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية . ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد :

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عقارا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك ومثل قوله :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال ليبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه .

كان الوليد شاعراً مطبوعاً يحب الرقة والهلهلة حتى نفضيا به في أكثر شعره الى اللين ، وذلك لأنه نشأ في نعيم الحاضرة وقصور الخلافة ، ولأنه مطبوع لا يتكلف ولا يبالي ما يقول ، ولانه غزل ماجن ، يتكلم بلسان الخلعاء ، ويصور دلال النساء . واللين في الشعر درجة بين السهل العذب الرقيق ، والسفساف المبتذل الركيك ، عرف به بعض شعراء الحواضر في الجاهلية والاسلام ، مثل عدي بن زيد العبادي من أهل الحيرة في الجاهلية ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي من أهل الطائف وهو جاهلي أدرك الاسلام . أما الشعراء الاسلاميون الذين يلوح على شعرهم أثر اللين فأشهرهم : عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، والعرجي ، وابن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد ،

وكلهم قرشيون حضريون غزلون . ولقائل ان يقول : ما بال اللين يكون في شعر الحضريين في الجاهلية والعصر الاموي ، ولا يطرد هذا القياس في الشعراء المولدين الذين هم أعرق في الحضارة ؟ والجواب على ذلك : أن المولدين اتقوا اللين بالدرس والرواية ، وأخذ النفس باصطناع الجزالة ؛ أما أولئك فقد كانوا يرسلون أنفسهم على سجيتها .

وهكذا ، فأكثر شعر الوليد لين كقوله :

شاع شعري في سليمى واشتهر ورواه الناس بادٍ وحضر
وتهادته العذارى بينها ولغنين به حتى اشتهر
لو رأينا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها إماماً مرتضى ولكانت حجنا والمعتمر

وقد يبلغ به اللين الى التبذل والركاكة كقوله :

خبروني أن سلمى خرجت يوم المصلى
فإذا طير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى قال ها ثم تعلى
قلت ياطير آدنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى قال لا ! ثم تولى
فنكا في القلب كلماً باطناً ثم تعلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو كما يجب قرض هذا النوع من الشعر يحب أن يسمع من شعر الشعراء ما كان مثله . قال حماد الراوية : دخلت يوماً على الوليد ، فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام ، فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف ، فأنشدته لعمار ذي كناز :

حبذا انت يا سلا مة الفين حبذا
ثم ألفين مضعفين وألفين هكذا
في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا
حذوة من صبابة تركته مفلذا

أشتهي منك منك منـ ... ـك مكانا بجنب ذا

فضحك حتى استلقى ، وطرب وصفق بيديه ورجليه وأمر بالشراب فشرب وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة .

وكان يستحسن شعر عديّ بن زيد وعمر بن أبي ربيعة كثيراً قال حماد الراوية استنشدني الوليد بن يزيد فأنشدته نحواً من ألف قصيدة فما استعادني الا قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلي وتعناني الطرب ... واعتراني طولُ هم ووصب

كما كان يطرب للسهل الحضري الرقيق من شعر بشار بن برد ؛ فقد روي أنه لما أنشد قول بشار :

أيها الساقيان صُبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رود

إن دائي الظما وإن دوائي ... شربة من رضاب ثغر برود

طرب وقال من لي بمزاج كأسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه وقال إن فاتنا ذاك فهذا .

كل ذلك يدل على مذهبه وطبعه في السهولة واللين ، على أن له من الجزل ماينبئك على أنه قادر عليه لو حاوله ولكن حين يجد أو يغضب ، ففخره وعتابه جزل رصين يحاكي شعر الفحول كقوله يعاتب هشاماً :

فإن تك قد مللت القرب مني ... فسوف ترى مجانبتي وبعدي

وسوف تلوم نفسك إن بقينا ... وتبلو الناس والأحوال بعدي

فتندم في الذي فرّطت فيه ... إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معد مدى كري وإقدامي

إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي

بنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكلا ... على منار مضيئاتٍ وأعلام

حللت من جوهر الأعياص قد علموا ... في باذخٍ مشمخر العز قمقام

صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكقوله حين ثار الناس :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وشعره بجملته مقطعات وأبيات ولا تكاد تجد له قصيدة طويلة .

غزله

ظهر في العصر الأموي طائفةٌ من الشعراء جعلوا الغزل فنهم ، أو عنوا به أكثر من بقية فنون الشعر كجميل بن معمر العذري وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وقيس ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والأحوص بن محمد والعرجي وابن قيس الرقيات ، منهم من كان غزله بريئاً عفيفاً ومنهم من غلب عليه اللهو والعبث والتهتك ؛ أما غزل الوليد فقد كان من غزل المجان الخلعاء الذين ظهروا في أواخر عصر بني أمية كمطيع بن إياس وعمار ذي كناز ووالبة بن الحباب ، وغزل هؤلاء يفترق عن غزل من تقدمهم بذكر الخمر والحانات وباعتبار الحب شراهة نفسانية وبتصوير مواقف الغرام تصويراً هو أقرب إلى الفجور والتهتك ، فهو بالمجون أشبه منه بالغزل . وغزل الوليد من هذا النوع منه الرقيق ومنه اللين ومنه السفساف ويندر فيه الجزل ولكنه في كل أنواعه صورةٌ صادقة عن نفس الوليد الماجنة الشرهة الوثابة لا يتصنع ولا يتكلف ولا يبالي بل يرسله كما يجيش به صدره وهو قليل الصنعة واضح المعاني يلتبس بالنثر لولا الوزن والقافية .

ولعل الوليد لم يُخلص في حبه إلا لسلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فلقد لمحها في بيت أبيها وهو شاب فأحبها حباً شديداً بل جنَّ بها جنوناً وطلبها فلم تجبه فبقي يلوب عليها أكثر من عشرين سنة يحتال لينظر اليها خلسةً كأن يجعل نفسه زياتاً ويقف على بابها وينادي على الزيت لعله ينعم منها بنظرة . ولقد قال فيها كثيراً من الغزل وغزله فيها مجموعة تريك نفس المحب في شتى أطوارها فتارة يناشدها الحب والقرابة كقوله :

يا سليمى يا سليمى كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنة عمي برد الليل وطابا

أيا واشٍ وشى بي ... فاملئي فاه ترابا
ريقها في الصبح مسك ... باشر العذب الرضايا

واخرى يستلين قلبها بما يلاقيه من الوجد والهيام :

أراني الله يا سلمى حياتي ... وفي يوم الحساب كما أراك
ألا تجزين من تيمت عمراً ... ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ـ ولا تموتي ـ ... ولو أنسي له أجل بكاك
ومن حقاً لو اعطي ما تمنى ... من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً ... إذاً ذاق الممات وما عصاك
اثيبي عاشقاً كلفاً معنى ... إذا خدرت له رجل دعاك

وطوراً يستعذب ما يلاقيه في حبها من المشاق :

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت ... نامت وقد أسهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها ... والليل أقصر شيء حين ألقاها

وطوراً يضيق بتمنعها ذرعاً فيسب أباها :

وقالت عند هجوتنا أباها ... أردت الصرم فأتنده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخي ... وعندك خلة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت ... فيها خطة بلغت مداها

ثم يستغفرها ويتوب اليها .

غضبت سلمى علينا سفاهـا ... أن سببت اليوم فيها أباهـا
كان حق العتب ياقوم مني ... ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي ... لأبي سلمى خلاف هواها
فشكلت اليوم سلمى فسلمى ... ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لأظن عدواً ... قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقالت ... أبداً حتى أنال رضاها

وأحياناً يلاغيها كما تلاغي الام طفلها :

سليمى ليس لي صبر ... وإن رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحييت

ولا شك في أن حبه لسلمى رقق من عواطفه وأصلح من غزله ما ألح عليه المجون ونفخ فيه روح المحبين ورقتهم ، قال صاحب الأغاني : خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالاً فأتي به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ثم أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فإذا شبهك ما تنكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
أنت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً ورح

ولقد ظلت سلمى هذه ممتنعة عليه أكثر من عشرين سنة حتى بويع بالخلافة فأسلس له قيادها كأنها أرادت أن تكون أميرة المؤمنين فيقال إنه تزوجها ولكنها لم تمكث عنده إلا قليلاً وعاجلها الموت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصف الخمر

لم يجوّد الوليد في فن من فنون الشعر كما جود في وصف الخمر فما بقي من أشعاره في هذا الباب على قلته أحسن من سائر شعره ، والوليد يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي في صفة الخمر لأن شعراء الجاهلية وإن وصفوها لم يتعدوا أثر نشوتها في الشارب وما تبعثه في النفس من الأريحية مع إلمام بلونها ورائحتها على سبيل الايجاز . أما الشعراء الإسلاميون فقد سكت أكثرهم عنها تحرجاً وتأثماً ومن ذكرها منهم أو من النصارى كالأخطل تناول وصفها على الأسلوب الجاهلي المجمل والغريب أن الشعراء الغزلين في العصر الاموي كعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وغيرهما تحرجوا عن وصفها .

أما الوليد فقد وصف الخمر ونشوتها وصفاء لونها ورقة جوهرها ورائحتها وبريقها في الكأس صرفاً وممزوجة وشبهها بالقبس والشرر والذهب ووصف دنانها وزقاقها وجرارها وشبه حببها بلمعة البرق ووصف مجالس الشرب والغناء وما يكون فيها من المجون والعربدة في القصور والرياض والديرة قال :

اصدع نجي الهموم بالطرب ... وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته ... لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها ... فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها ... من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها ... حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر ... وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس ... تذكو ضياء في عين مرتقب

وقال :

وصفراء في الكأس كالزعفران ... سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا ... ء سترها دون لمس البنان
لها حبب كلما صفقت ... تراها كلمعة برق يمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال :

علـلاني واسقياني ... من شراب اصبهاني
إن في الكأس لمسكاً ... أو بكفي من سقاني
إنما الكأس ربيع ... يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت ... بين رجلي ولساني

وهكذا فقد نقل الوليد هذا الفن من الشعر العربي من حظيرته الضيقة إلى هذا الميدان الواسع الذي رتع به الشعراء من بعده كأبي نواس والحسين بن الضحاك الخليع وغيرهما ممن أمعن في وصف الخمر . ويقول صاحب الاغاني إن كل من وصف الخمر بعد الوليد عيال عليه مستمد منه مستعين بمعانيه قال : « وللوليد أشعار جياد فمنها وهو ما برز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر :

اصدع نجي الهموم بالطرب ... وانعم على الدهر بابنة العنب

وقال : « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره

فكررها في عدة مواضع منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها هنا على أنها تنبئ عن نفسها »

خاتمة

شعر الوليد من الشعر الوجداني المعبر عن شعور قائله يمتاز بصدق اللهجة والصراحة وعدم التصنع في معانيه وألفاظه، قصره على نفسه فافتخر وتغزل وعاتب ووصف الخمر ورثى وهجا ولكنه لم يمدح أحداً ولم يرث إلا من أحب من أصفيائه وأقاربه وأحبابه. وأكثر شعره في الغزل والمجون والخمر حيث يرسل نفسه على سجيتها فيرق ويعذب ويسهل ويلين ويعبث ويمزح فيكون ظريفاً فكها . أما في بقية الفنون التي نظم بها فهو أجزل سبكاً وأمتن رصفاً وأحكم قافية لبعدها عن مواطن التبذل والمجون ففي الرثاء مثلاً تراه عميق الحزن قليل الجلد كثير الجزع لأنه لم يرث إلا أحبابه وأقاربه كقوله يرثي ابنه مؤمناً :

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إني إلى الله راجع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلت وشلت من يديك الأصابع
يقولون لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحنى عليه الأضالع

وكقوله يرثي سلمى بنت سعيد :

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دان جناها موضع
أربابها شفقا عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

وقوله :

ألما نعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجنوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا

وكذلك في العتاب فإنه يشتد أسره لأنه جاد مغيظ يعاتب الخليفة الذي حاول أن

يخلعه من ولاية العهد فترى الأسى والغضب والاستعطاف والتقريع واللين والشماس مع بعضها في عتابه كقوله :

أليس عظيماً أن أرى كل وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فارجع محمود الرجاء مصرداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبوة يشد عليها كفه بالأنامل

وكقوله :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرّطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله :

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا حزم لهدمتَ ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينة فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم ألا ليت انا حين يا ليت لا تغني

وكقوله :

أنا النذير لمسدي نعمة أبدا إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطروا وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه حتى اذا ما استوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

وهكذا فان عتابه من حر الشعر وجيده .

وهو من أجزل ما يكون إذا افتخر ومما يرأسه إلى آبائه خلفاء الإسلام وأشياخ الجاهلية وشموس العرب كقوله :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

انا الوليد أبوالعباس قد علمت علياً معد مدى كري وإقدامي
اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجدَ بانٍ لم يكن وكلا على منار مضيئات وأعلام
حللت من جوهر الاعياض قد علموا في باذخٍ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه يسمو الى فرع طودٍ شامخٍ سامي

وما عدا ذلك من المعاني التي عالجها كشماتته بموت هشام ومجانه فقليل لا يعتدُّ به ولا يخرج عن أسلوبه في الصراحة والسهولة؟

خليل مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان

الوليد بن يزيد

حرف الألف

١

على الدُّور التي بليت صفاها ... قفا يا صاحبيَّ فسائلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوق ... وأخضل دمعُ عينك ما قياها
وقالت عند هجرتنا أباها : ... أردتَ الصرم فانتده انتداها
أردت بعادَنا بهجاء شيخي ... وعندك خلةٌ تبغي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادت ... فيها خطةً بلغت مداها

٢

غضبتْ سلمى علينا سفاها ... أن سببتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قوم مني ... ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنتُ أردت بقلبي ... لأبي سلمى خلاف هواها
فشكتُ اليوم سلمى فسلمى ... ملأت أرضي معًا وسماها
غير أني لأظن عدوًّا ... قد أتاها كاشحًا وأذاها
فلها العتبى لدينا وقلّت ... أبدًا حتى أنال رضاها

٣

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت   نامت وإن[1] أسهرت عيني عيناها
فالليلُ أطول شيءٍ حين أفقدها   والليلُ أقصرُ شيءٍ حين ألقاها

٤

وُصفت عندي سليمى   فاشتهى قلبي يراها
لو يرى سلمى خليلي   لدعا سلمى إلاها
ورأى حين يراها   ربّ طاسين وطاها

حرف الباء

٥

تلعّبَ بالخلافة هاشميٌّ   بلا وحيٍ أتاه ولا كتابِ
فقل لله يمنعني طعامي   وقل لله يمنعني شرابي
يذكرني الحساب ولستُ أدري   أحقٌّ ما يقول من الحسابِ

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦

قد راح نحو العراق مُشخلبَه   فصارَه السجنُ بعده الخشبه
يركبها صاغراً بلا قتبٍ   ولا خطامٍ وحوله جلَبه
فقل لدعجاء إن مررت بها   لن يعجز اللهَ هاربٌ طلبه
قد جعل الله بعد غلبتكم   لنا عليكم يا دُلدلُ الغلبه
لستَ إلى هاشمٍ ولا أسدٍ   ولا إلى نوفلٍ ولا الحجَبه
لكنّما أشجعٌ أبوك سل الـ   كلبيّ لا ما يزوّق الكذَبه

٧

إصدعْ نجيّ الهموم بالطرب   وأنعمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارته   لا تقفُ منه آثارَ معتقبِ

---

(١) نامت وقد، كما في نهاية الأرب ج ١ ص ١٣٥

من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس تزهو ضياء في عين مرتقب
في فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم بمثل أبي

٨

إنما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب
نظرة قد وقرت في الـ قلب من أم حبيب
فإذا ما ذقت فاها ذقت عذباً ذا غروب
خالط الراح بمسك خالص غير مشوب

٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا
يا سليمى ابنة عمي برد الليل وطابا
أيما واش وشي بي فاملئي فاه ترابا
ريقها في الصبح مسك باشر العذب الرضابا

١٠

قد تمنى معشر إذ طربوا من عقار وسوام وذهب
ثم قالوا لي تمن واستمع كيف نحو في الاماني والطلب
فتمنيت سليمى انها بنت عمي من لهاميم العرب

١١

أم سلام أثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربه
أنكم من عيشه في نفسه يا سليمى فاعلميه حسبه
فارحميه انه يهذي بكم هائم صب قد أودى قلبه

أنت لو كنت له راحمةً لم يكدّر يا سليمى شربهُ

١٢

ولقد مررتُ بنسوةٍ أعشينني حور المدامع من بني النجّابِ
فيهنّ خوعبة مليح دلها غرثى الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر مائوث في حضرها وتزين باديَها من الأعراب [1]

حرف التاء

١٣

سلْ همَّ النفس عنها بعلنداةٍ علاةِ
تتقي الأرض وتهوي بخفافٍ مدمجاتِ
ذاك أم ما بال قومي كسروا سنَّ قناتي
واستخفوا بي وصاروا كقرود خاسئات
أصبح اليوم وليدٌ هائماً بالفتيات
عنده راحٌ وإبريقٌ وكأسٌ بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيلٍ ورماةً لرماة

١٤

ولقد قضيتُ وإن تجلل لمتي شيبٌ على زغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمى ونواصف وصراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم شم الانوف جحاجح سادات
إن يطلبوا بتراتهم يُعطَوا بها أو يُطلبوا لا يُدرَكوا بترات

(١) قد كنت أحسب أنني جلد القوى حتى رأيت كواعباً أترابا
يرفلن سيفَ وشي البرود عشيةً شبه الأراك وقد ملئن شبابا
قربن حوراء المدامع طفلةً أربين من عجب بها اربابا
تلك التي لا شك حقاً أنها خلقت لحينك فتنةً وعذابا
كلمات مختارة (ص ٢٦)

١٥

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيب الرشد في صلتي هديتا
فأشكر منك ما تسدي وتحيي أبا عثمان ميتة وميتا

١٦

أراني قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت
إذا شئت نصبرت ولا أصبر إن شيت
ولا والله لا يصبر في الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت
فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحبب بزور زار من سلمى بيروت
غزال أدعج العين نقي الجيد والليت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٧

أسلمى تلك حييت قفي نخبرك إن شيت
وقيلي ساعة نشكو اليك الحب أو بيتي
فما صهباء لم تكس قذى من خمر بيروت
ثوت في الدن أعواماً ختيا عند حانوت

١٨

رب بيت كأنه متن سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حييت
أم سلام لا برحت بخير ثم لازلت تجتني ما حييت
طربا نحوكم وتوقا وشوقا لادكار بكم وطيب المبيت
حيثما كنت من بلاد وسرتم فوفاك الاله ما قد خشيت

حرف الجيم

١٩

إنني فكرت في عمر حين قال القول فاختلجا
إنه للمستنير به قمر قد طمس السرجا
ويغني الشعر ينظمه سيدُ القوم الذي فلجا
أكمل الوادي صنعته في لباب الشعر فاندمجا

٢٠

طاف من سلمى خيال بعد ما نمتُ وهاجا
قلت عُجْ نحوي أسائلك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي قم فأنفذ لي سراجا
بفلاة ليس ترعى أنيقت شيحاً وحاجا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حرف الحاء

٢١

أشهد الله والملائكة الأبرار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى علي بالأقداح (١)

٢٢

انني أبصرت شيخاً حسن الوجه مليحْ
ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعاً خاسراً غير ربيح

(١) وزاد صاحب حلبة الكميت ص ٩٨
وظريف الحديث والكاعب الطفـ ـلة تختال في خطوط الوشاح

٢٨

أَلما تعلما سلمى أقامت	مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليدُ لقد أجنوا	بها حسباً ومكرمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه	شعاعُ الشمس أهلُ أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين	وأكثر جازعاً وأجلّ فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكاً	يزيك جلالةً ويسرٌ وجدا

٢٩

ألم تعلما سلمى أقامت بمهمهٍ	مضمنةً قبراً من الأرض انجدا

٣٠

ومن يك مفتاحاً لخير يريده	فإنك قفل يا سعيدَ بنَ خالدِ

٣١

أضحى فؤادُك يا وليدُ عميدا	صبّاً كليباً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة	برزتْ لنا نحو الكنيسة غيدا
ما زلت أرمقها بعينيْ وامقٍ	حتى بصرت بها تقبل عودا
عودَ الصليب فويح نفسي من رأى	منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه	وأكون في لهب الجحيم وقودا

٣٢

يا من لقلب في الهوى متشعبٍ	بل من لقلبٍ بالحبيب عميدِ
سلمى هواه ليس يعرف غيرها	دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والسعادة ألّفا	بين الوليد وبين بنت سعيد
يا قلب كم كلف الفؤاد بغادةٍ	ممكورة ريّا العظام خريدِ

***

٣٣

إقرَ مني على الوليد سلاماً … عدد النجم قلّ ذا للوليد
حسداً ما حسدتُ أخي عليه … ربنا بيننا وبين سعيد

٣٤

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا … ن ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غرّة … فباتت بحزنٍ تقاسي السهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـ … ـد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره … يزيدُ يرجّي لتلك الوليدا
على أنها شسعت شسعةً … فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هي عادت فأوصي القريـ … ـبَ عنها ليوئس منها البعيدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٥

ليت حظي اليوم من كـ … ـل معاشٍ لي وزاد
قهوةً أبذل فيها … طارفي ثم تلادي
فيظل القلب منها … هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي … وفلاحي ورشادي

٣٦

الحمد لله وليّ الحمد … أحمده في يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب أستعين … وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها … أنْ لا إله غيره إلاها
ما إن له في خلقه شريك … قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دينُ أحمد … فليس من خالفه بمهتد
وأنه رسول رب العرش … القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا … وفي الكتاب واعظاً بشيرا

ليظهر الله بذاك الدينا … وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا … أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل … قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما مضى لديكم … حي صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد أن تزلوا … عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحي فإني ناصح … إن الطريق فاعلمن واضح
من يتق الله يجد غب التقى … يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إن التقى افضل شيء في العمل … أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم إخوتي لعلكم … يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم … فانتفعوا بذاك إن عقلتم
مايزرع الزارع يوماً يحصده … وما يقدم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا … فالموت منكم فاعلموا قريب(١)

حرف الراء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٧

أهينمة حديث القوم أم هم … سكوت بعدما متع النهار
عزيز كان بينهم نبياً … فقول القوم وحي لا يحار
كأنا بعد مسلمة المرجى … شروب طوحت بهم عقار
أو الآف هجان في قيود … تأنت كلما حنت ظؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم … تربع غيبهم عنها الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد … وآخر لا يزور ولا يزار

---

(١) قال الوليد بن يزيد :

وان على شاطي الفرات لفتية … يودون لو كانوا بمالهم افتدوا
حدونا وساقونا فنحن كما ترى … نسوق كما ساقوا ونحدو كما حدوا

حماسة البحتري ص ١٦١.

٣٨

لقد قذفوا أبا وهب بأمرٍ ... كبيرٍ بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه ... شهادة عالمٍ بهم خبير

٣٩

أنا ابن أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومروان جدي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ... ثقيفٍ وفهرٍ والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن يك خاله ... نبيُّ الهدى يقهرْ به من يفاخر

٤٠

ألا حبذا سفرى وإن قيل إنني ... كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليَّ أن يظل نهارنا ... الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

٤١

شاع شعري في سليمى وظهرْ ... ورواه الناس بادٍ وحضرْ
وتهادته المدارى بينها ... وتغنين به حتى اشتهر
قلت قولاً لسليمى معجباً ... مثل ما قال جميلٌ وعمر
لو رأينا لسليمى أثراً ... لسجدنا ألف ألفٍ للأثر
واتخذناها إماماً مرتضى ... ولكانت حجّنا والمعتمر
إنما بنتُ سعيدٍ قمرٌ ... هل حرجنا إن سجدنا للقمر

٤٢

يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة ... بالسخن أحياناً وبالفاتر

٤٣

عوجا خليليَّ على المحضر ... والربع من سلامة المقفر
عوجا به فاستنطقاه فقد ... ذكرني ما كنت لم أذكر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرني سلمى وأيامها ... إذ جاورتنا بلوى عسجر
بالربع من ودّان مبدى لنا ... ومحوراً ناهيك من محور
في محضر كنا به نلتقي ... يا حبذا ذلك من محضر
إذ نحن والحيّ به جيرة ... فيا لهفي من سالف الأعصر

٤٤

إسقني يا يزيد بالقرقاره ... قد طربنا وحنّت الزمّاره (١)
إسقني إسقني فإن ذنوبي ... قد أحاطت فما لها كفّاره

٤٥

إسقني يا ابن سالم قد أنارا ... كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
إسقني من سلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديمَ كأساً عقارا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٦

أرسلي بالسلام يا سلم إني ... منذ علّقتكم غنيٌّ فقيرُ
فالغنى إن ملكتُ أمركِ والفقـ ... ـر بأني أزور من لا يزورُ
ويح نفسي تسلو النفوس ونفسي ... في هوى الريم ذكرها ما يحور
من لنفسٍ تتوق أنتِ هواها ... وفؤادٍ يكادُ فيك يطيرُ

٤٧

هلك الأحولُ المشو ... مُ فقد أرسل المطرْ
ثمت استخلف الوليـ ... ـدُ فقد أورق الشجر
فاشكروا الله إنه ... زائدٌ كلَّ من شكر

***

---

(١) وبعده: من شراب كأنه دم خشف ... عتقته هشيمة الخماره
مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٩٨

٤٨

أدرِ الكأس يميناً لا تدرها ليسارِ
إسقِ هذا ثم هذا صاحب العود النضار
من كميتٍ عتقوها منذ دهر في جرار
ختموها بالأفاويه وكافور وقار
فلقد أيقنتُ أني غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار
وذروا من يطلب الجنة يسعى لتبار

٤٩

إسقني يا زيدُ صرفاً إسقني بالطرجهارهْ
إسقنيها مرةً بل خذني منها استدارهْ
إسقنيها كي تسلي ما بقلبي من حرارهْ (١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(١) قال الوليد بن يزيد :

سليمى تبكِ (*) في العير قفي إن شئتِ أو سيري
فلما أنْ دنا (**) الصبح بأصوات العصافير

الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٠٨

خرجنا نبتغي الصيد بأمثال اليعافير
إذا ما حقب جال شددناه بتصدير
زجرنا العيس فانْهدَّت بإهذاب وتشمير

الكامل للمبرد ص ١٢ طبع أوروبة زيادة على ما في كتاب الحيوان .

(*) لعلها : تلك . (**) وفي الكامل : بدا .

حرف السين

٥٠

خف من دار جيرتي يا ابن داود أنسها
أو لا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم تقض لبسها
برزت كالهلال في ليلة غاب نحسها
بين خمس كواعب أكرم الخمس جنسها

حرف العين

٥١

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له: إني الى الله راجع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلت وشلّت من يديك الأصابع
يقولون: لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحني عليه الأضالع

٥٢

ألا أيها الركب المخبّون أبلغوا سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معاً وزيادة وأعطية مني عليكم تبرّع
محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

٥٣

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

***

٥٤

لَيتَ هشاماً عاش حتى يرى ... مِكيالَه الأوفر قد طُبِّعا

كِلناه بالصاع الذي كاله ... وما ظلمناهُ بـه إصبعا

وما أتينـا ذاك عن بدعةٍ ... أحله الفرقانُ لي أجمعا

٥٥

ياسلمَ كنتِ كجنة قد أطعمت ... أفنانها دانٍ جناها موضعُ

أربابهـا شفقاً عليهـا نومهمْ ... تحليل موضعها ولما يهجعوا

حتى إذا فسخَ الربيع ظنونهم ... نثر الخريف ثمارها فتصدّعوا

٥٦

ياويحَ جنديّ الأولى جاروا وماتظروا ... في رِغبَ أمسِ عمودَ الدين لو وقعـا

ألقحتُها ثم شالت عاقداً أَنِفاً ... ما نتجوهـا فيلقوا بعدهـا رُبَعا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حرف الفاء

٥٧

أباحكمُ المبتولُ لو كنتَ تعتزي ... الى أسرة ليسوا بـودٍ زعانفِ

لأيقنتُ قدأدركت وِ تركعنوةً ... بلاحكمِ قاضٍ بل بضرب السوالف

٥٨

ألا أبلغ أبا عثما ... نَ عذرةَ معتبٍ أسِفا

فلستُ كمن يودُّكَ ... باللسان ويكثر الحلفا

عتبتَ عليَّ في أشيا ... ء كانت بيننا سَرَفا

فلا تُشمت بيَ الأعدا ... ء والجيران مُلتهفـا

تودُّ لو أنني لحمٌ ... رأته الطيرُ فاختطفا

ولا ترفعْ به رأساً ... عفا الرحمن ما سَلفا

***

٦٧

ألم تهتجْ فتذكرَ الوصالا وحبلاً كان متصلا فزالا
بلى فالدمعُ منك له سجام كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادكارك آل سُعدى فنحن الاكثرون حصىً ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الأشعرين بعزّ قيس فيالك وطأةً لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسيراً ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائلَ ذاتَ عز لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً يسامُ من سلاسلنا الثقالا
وكندةُ والسكون فما استقالوا ولا برحت خيولهمُ الرحالا
بها سُمنا البرية كلَّ خسف وهدّمنا السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم وجذّتهم وردتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً نسومهم المذلة والسفالا
فأصبحتُ الغداة عليَّ تاج لملك الناس ما يبغي انتقالا

٦٨

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً إلى المقاريف ما لم يخبر الدَّخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بُطراً وإن أهنتهم ألفيتهم ذُللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ستعلمون إذا كانت لنا دولا
أنظرْ فإن كنت لم تقدرْ على مثل له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بينا يسمّنه للصيد صاحبه حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

* * *

٦٩

من مُبلغ عني أبا كاملٍ أني إذا ما غاب كالخابلِ
قد زادني شوقاً إلى قربه ما قد مضى من دهرنا الحائل
إني إذا عاطيته مرة ظلتُ بيوم الفرح الجاذل

٧٠

عينيَّ للحدث الجليل جودا بأربعة همولِ
جودا بدمعي إنه يشفي الفؤاد من الغليل
لله قبرٌ ضمنت فيه عظامُ ابن الطويل
ماذا تضمّن إذ ثوى فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوي من هوا ك إلى ذرى كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً فرداً بمدرجة السيول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧١

وزقٍ وافر الجنبين مثل الجمل البازلْ
به رُحت إلى صحبي وندماني أبي كاملْ
شربناه وقد بتنا بأعلى الدّير بالساحل
ولم نقبل من الواشي قبول الجاهل الخاطل

٧٢

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوالِ
عفاه كل حنّانٍ عسوف الوبل هطّال
لسلمى قرّة العين وبنت العم والخال
بذات اليوم في سلمى خطاراً أتلفت مالي
كأن المسك في فيها سحيق بين جريال

* * *

٧٣

خبّروني أنّ سلمى خرجت يوم المصلّى
فإذا طيرٌ مليحٌ فوق غصنٍ يتفلّى
قلت من يعرف سلمى قال : ها ، ثم تعلّى
قلت يا طير أدنُ مني قال : ها ، ثم تدلّى
قلت هل أبصرت سلمى قال : ها ، ثم تولّى
فنكى في القلب كلماً باطناً ثم تعلّى

٧٤

هل إلى أمّ سعيد من رسول أو سبيل
ناصح يخبر أني حافظ ودّ خليل
أبذل الود لغيري وأكافي بالجميل
لست أرضى خليلي من وصالي بالقليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧٥

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي
وسقّيتها معبداً وكل فتىً فاضل
لي المحضُ من ودهم ويغمرهم نائلي
فما لامني فيهم سوى حاسد جاهل

٧٦

طرقتني وصحابي هجوعٌ ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلّت في رؤوس الجبال
تقطع الأهوال نحوي وكانت عندنا سلمى ألوف الحجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشةٍ قتالةٍ للرّجال

* * *

٧٧

أنا الوليدُ الإمامُ مفتخراً   أُنعمُ بالي وأتبعُ الغزلا
أهوى سليمى وهي تصرمني   وليس حقاً جفاء من وصلا
أسحبُ بردي إلى منازلها[1]   ولا أبالي مقالَ من عذلا
غرّاء فرعاء يستضاء بها   تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلا

٧٨

قد أغتدي بذي سبيبٍ هيكل   مشرّب مثل الغراب أرجلِ
أعددته لنائبات الأحول   وكل نقع ثائرٍ لجحفل
وكل خطب ذي شؤون معضل

٧٩

يا ربَّ أمرٍ ذي شؤون جحفل   قاسيتُ فيه غلبات الأحولِ

حرف الميم

٨٠

ضمنت لكم إن سلّم الله مهجتي   عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرَّمِ
فلا تُعجلوني لا أبا لأبيكم   فإني لكم كالوالد المترحم

٨١

أنا الوليدُ أبو العباس قد علمت   عليا معدٍّ مدى كرّي وإقدامي
إني لفي ذروة العليا إذا انتسبوا   مقابَل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وكلاً   على منار مضيئاتٍ وأعلام
حللت من جوهر الأعياص قد علموا   في باذخ مشمخرٍّ العز قمقام

---

(١) في الكامل ١ / ٤١٢ : انقل رحلي إلى مجالسها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صعبِ المرام يسامي النجمَ مطلعُه   يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

٨٢

ألا يسليك عن سلمى   قتير الشيب والحلمُ
وأن الشك ملتبس   فلا وصل ولا صرمُ
فلا والله رب النا   س مالكِ عندنا ظلمُ
وكيف بظلم جارية   ومنها اللين والرحم

٨٣

أتانا بريدان من واسطٍ   يخبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى   أمسلمَ لا تبعدنْ مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد   تضيء فقد أصبحت مظلمه
كتمنا نعيك نخشى اليقين   فجلى اليقينُ عن الجمجمه
وكم من يتيم تلافيته   بأرض العدو وكم أيمه
وكنت إذا الحرب درت دماً   نصبت لها راية معلمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨٤

إن كأسَ العجوز كأس رواء   ليس كأسٌ ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً   في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيل لظلا في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلقَ فوافى لذاك غيرَ حكيم

٨٥

طال ليلي فبت أسقي المداما   إذ أتاني البريد ينعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيب   وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الوليَّ من بعد فقدي   يفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قرم قريش   خير قوم وخيرهم أعماما

٨٦

عللاني بعاتقات الكروم … واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامةَ صرفاً … في إناء من الزجاج عظيم
جنبوني أذاةَ كل لئيم … إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كريم … فأذيقوه بعضَ مسّ النعيم
ليت حظي من النساء سليمى … إن سلمى جُنينتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها … إن من لامني لغير رحيم

٨٧

خيلي وربّ الكعبة المحرّمه … سبقن أفراسَ الرجال اللؤّمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه … كذاك كنا في الدهور القدَمه
أهلَ العلى والرُّتب المعظمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨٨

نام من كان خلياً من ألم … وبداني بتُّ ليلي لم أنم
أرقُب الصبح كأني مُسند … في أكفّ القوم تغشاني الظُّلم
إن سلمى ولنا من حبها … ديدن في القلب ما اخضر السلم
قد سبتني بشتيتٍ نبتهُ … وثنايا لم يَعبهن قضم

٨٩

بأبنا عني سُليمي … وسلاها ليَ عمّا
فعلت في شأن صب … دنفٍ أشعر همّا
ولقد قلت لسلمى … إذ قتلتُ البين علما
أنتِ همي يا سليمى … قد قضاه الرب حتما
نزلت في القلب قسراً … منزلا قد كان يُحمى

حرف النون

٩٠

رأيتكَ تبني جاهداً في قطيعتي   فلو كنت ذا إربٍ لهدّمتَ ما تبني
تُثير على الباقين مجنى ضغينة   فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم والليتُ أفضل قولهم   ألا ليتنا والليتُ إذ ذاك لا يغني
كفرتَ يداً من مُنعم لو شكرتها   جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

٩١

حبّذا ليلتي بدير بَوَنّا   حيث نُسقى شرابَنا ونغنى
كيف ما دارت الزجاجة درنا   يحسب الجاهلون أنا جُننّا
ومررنا بنسوة عطرات   وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفةَ الله فطرو   سَ مجوناً والمستشارَ يُحنّا
فأخذنا قربانهم ثم كفّر   نا لصلبان ديرهم فكفرنا
واشتهرنا للناس حيث يقولو   ن إذا خبّروا بما قد فعلنا

٩٢

منازلُ قد تحلّ بها سليمي   دوارسُ قد أضرّ بها السنونُ
أميت السر خفظاً يا سليمى   إذا ما السرّ باح به الخزون

٩٣

وبحَ سلمي لو تراني   لعناها ما عناني
متلفاً في اللهو مالي   عاشقاً حور القيان
إنما أحزن قلبي   قول سلمى اذ أتاني
ولقد كنت زماناً   خالي الذرع لشاني
شاق قلبي وعناني   حب سلمي وبراني
ولكم لام نصيح   في سليمى ونهاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩٤

عَلِلاني واسقيـاني ... من شراب إصبهاني
من شراب الشيخ كسرى ... أو شراب القيرواني
إنَّ في الكأس لمِسكاً ... أو بكفَّي من سقاني
أو لقد غودر فيهـا ... حين صبت في الدنان
كللاني توِّجاني ... وبشعرٍ غنيـاني
أطلقـاني بوثـاقي ... واشدُداني بعنـاني
إنمـا الكأس ربيع ... يُتعاطى بالبنـانِ
وحُميا الكأس دبت ... بـين رجلي ولساني

٩٥

إني سمعت خليلي ... نحو الرُصافة رنَّه
خرجت أسحب ذيلي ... أقول ما شأنهنه
إذا بنات هشام ... يندبن والدهنه
يندُبنَ شيخاً كريماً ... وكان يكرمهنه
يقلنَ ويلي وعولي ... والويل حل بهنه
أنا المخنث حقاً ... إن لم أنيكهنه

٩٦

وصفراء في الكأس كالزعفران ... سباها التجيبيُّ من عسقلانِ
تريك القذاةَ وعرض الإناء ... ستر لها دون لمس البنان
لها حبب كلمـا صفقت ... تراها كلمعة برق يمان (١)

---

(١) قد جعلنا طوافنا بالدنان ... حين طاف الورى بركن يماني
سجد الساجدون لله حقاً ... وجعلنا سجودنا للقناني
حلبة الكميت ص ٩٨

حرف الياء

٩٧

ألم تر أني بين ما أنا آمن ... يُخبُّ بي السندي قفراً فيافيا
تطلعتُ من غور فأبصرت فارساً ... فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس ... وقفت له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثاً ثم إني طعنته ... فروّيت منه صعدتي وسنانيا

٩٨

قامت إلي بتقبيل تعانقني ... رياً العظام كأن المسك في فيها
أدخلْ فديتك لا يشعر بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تفدّيها
بتنا كذلك لا نوم على سُرر ... من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها ... حان الفراق فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنا أحد ... والله عني بحسن الفعل يجزيها

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩٩

أقصرا عن ملامتي عاذليّا ... إن عذلي يزيدني اليوم غيّا
لا تلوما هديتما إن قلبي ... عشق اليوم شادناً قرشيا

١٠٠

لقد أغدو على أشقـــــــرَ يغتال الصحاريا

١٠١

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديه
إن هذا لقضاء ... غـير عدل بأخيه
ليت من لام محبا ... في الهوى لاقى المنيه
فاستراح الناس منه ... ميتة غـير سويـه

نقـد

كتب الدراسة للعلوم العربية بافريقيا الشمالية

من محاضرة ممتعة تلاها العلامة سيدي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي في مؤتمر اللغة والآداب العربية الذي انعقد بتونس أيام ١٤ و١٥ و ١٦ كانون الاول ١٩٣١ الموافق ٤ و ٥ و ٦ شعبان ١٣٥٠ ، وألقاها مؤلفها في جلسة المؤتمر الاخيرة الرسمية ، ننشرها ليطلع القراء على آثار علماء المغرب العربي .

غير خفي أن علة العلل في تأخر الأمة العربية أو الأمم الإسلامية هو داء الامية ، وكل يعلم مضارها العظمى وأثرها السيء فينا بما يغني علمه عن بيانه لذلك أرى أن أول داء نبادر لعلاجه وحسم مادته هو ذلك الداء العضال الخطر داء الامية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا تزول جراثيمه إلا إذا تساوى أفراد الأمة ذكراناً واناثاً في قدر من العلم الادبي والتهذيب يزول به سوء التفاهم بين أفراد الامة ، وهو أقل ما يكفي لان يصل به الكل إلى معرفة ما يصلح مجتمعهم أو يضر جامعتهم ، فيكونوا كجسم واحد يحس بما يؤلم أعضاءه ويهتدي للدواء الحقيقي فيتطلبه من حيث ينبغي تحصيله .

ولا سبيل بحسب العادة إلى الوصول إلى هـذا القدر إلا بتسهيل تعليم القراءة والكتابة وبه زوال غشاوة الامية عن أبصار الأمة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) كان النبي العربي (ص) يعالج داء الجهل بنفسه المقدسة يباشر تعليم الامة وتهذيبها شفاهياً ، ويزيل عنهم داء الامية ، فيأمرهم بكتب القرآن في الصحف واللخاف والعظام وغيرها مما كانوا يكتبون فيه .

ولقد أناف كتابه صلى الله عليه وسلم الذين يكتبون له الوحي وغيره على الاربعين كاتباً من أعيان الصحابة الكرام ترفيعاً لشأن الكتبة ، وكان يرغبهم في نبذ الامية وتعلم الكتابة والقراءة

وقد ثبت في السير أنه لما أسر بعض كفار قريش في غزوة بدر ، وكانوا يحسنون الكتابة ، وكان أهل مدينته عليه السلام يجهلونها ، جعل فداء بعض الاسرى أن يعلم الاسير عشرة من أبناء المدينة المنورة ، فإذا علمهم نال حريته وأطلق من أسره بدون شيء سوى ذلك .

ومن افتدى بالمال كان يؤدي من الاربعة آلاف دينار إلى الثلاثة إلى الالفين الى الالف كل أسير على قدر ماله ، فانظر قيمة تعليم الكتابة كم كانت تساوي ، فإن تعليم الفتى الواحد يساوي اربعماية دينار إلى مابة دينار ، وليس ذلك بغال في سبيل إتلاف داء الامية ، لذلك لا نستعظم ما تقرره الدولة في ميزانيتها للتعليم حيث نسبه إلى عدد المتعلمين كل سنة .

ARCHIVE
http://Archive.org/details/... Sakhrit.com

ما هي الامية ؟

الامية في الزمن النبوي وما يقرب منه كانت عبارة عن عدم معرفة القراءة والكتابة فمن عرفهما لم يبق أمياً حيث كانت اللغة واحدة ، فلغة التخاطب والتفاهم هي الفصحى سواء فيها الأشراف والسوقة ، ولم يكن لديهم لغتان عامية وفصحى ، فكان الناس متساوين في فهم ماخوطبوا به من القرآن والسنة والاوامر والنواهي والمنشورات والمكاتب والخطب والشعر ، وإنما تفاوتهم بالذكاء وزيادة المعلومات . اما في الوقت الحاضر، فالذي يعرف القراءة والكتابة فقط من غير أن يفرق بين التراكيب الصحيحة والفاسدة هو أمي أو ملحق به، حيث جهل اللغة الفصحى التي هي لغة التشرع ولا يخرج عن سجن الامية إلا إذا عرفها ولو معرفة ابتدائية ، وان لم يصل إلى حد التعمق في الدقائق ، فهذا يخرج من صف الاميين ويدخل في صف أهل العلم، إذ يمكنه ان يتوق اللحن في كلامه وان لا يغلط في فهم كلام غيره بحيث لا ينقلب له الضارب مضروباً ، وبذلك يفهم خطب الخطباء غير المتكلفين لسجع الكهان ولا المتعمقين في التراكيب المعقدة المتظاهرين بمظاهر

النفخخة العلمية ، ويفهم المنشورات الدولية والجرايد السيارة ليطلع منها على أحوال العالم ويعرف ما عند غيره فيخرج من عزلة الانفراد ويفهم لغة المراسلة التي لا يرضى أحد من أهل العلم ان يتنازل عنها ولا أن يكتب بدرجة أسفل منها ، وهي لغة الشريعة ولغة القوانين والظهائر والمنشورات الحكومية ، فالمحصل على هذا القدر ليس بامي بل هو عارف بما له وعليه ، عضو عامل في المجتمع بخلاف الامي الجاهل بذلك فإنه كعضو اشل ضرره على مجتمعه أكثر من نفعه (إلا نادراً وعلى خرق العادة) لعدم تمييزه بين ما هو ضار أو نافع ، فربما اختار الضار على النافع من حيث لا يشعر ، والامي بسيط الفكر ينخدع لكل مهيج ، فيقع في شباك الفتانين بأول إشارة بخلاف الذي يقرأ الكتب ويطالع الجرائد فإنه يكون مشاركاً للعقلاء في تفكيرهم لا تنطلي عليه حيل المحتالين غالباً ، إذا علم هذا القدر علمنا أننا لسنا مطالبين أمام أمتنا العربية بتعليمها الحروف العربية والكتابة وقراءة الجمل قراءة بسيطة فقط ، بل نحن مطالبون بتعليمها تعليما ابتدائياً لغة النشر فيجب أن نعمم هذا بين أفراد الأمة ذكراناً وأناثاً بقدر الإمكان ، هذا التعليم الذي أريده لا يحصل إلا بتعليم ما لابد منه من النحو والصرف ومصطلحات كتب اللغة الابتدائية كمصباح الفيومي ومختار الصحيح للرازي ونحوهما بحيث يمكن للمتعلم أن يراجع لفظة عربية اعترضت فهمه في آية أو شعر ، ومبادي من النحو هو ما قال أمام الادباء أبو عمرو الجاحظ : علم ولدك من النحو ما يعرف أن يميز بين العبارة الصحيحة والعبارة الفاسدة وإياك أن تكثر عليه من النحو فإنه خبال .

فوصية هذا الامام ينبغي أن يقتصر في التعليم الابتدائي على القدر الضروري الذي يحتاج اليه من يريد أن يتوقى اللحن فيما يعبر به عما في ضميره والغلط في فهم عبارة غيره كما تقدم ، وهذا القدر لا يلزم فيه ان يدرس ألفية ابن مالك وشروحها ولا كافية ابن الحاجب وشافيته فضلا عن التوضيح والتسهيل أو نحوهما مما كانت تسميته من باب الاضداد .

إن من يريد أن يمر بالعلمين ليتزود منهما زاد مسافر يوصله لغيرهما من المقاصد غير محتاج إلى دراسة أمثال هذه الكتب المسهبة بكثرة اختصارها واحتياج رموزها إلى شرح ، وشروحها إلى حواش وأخذ ورد وقبول ونقد ، فالدراسة بها تحتاج إلى أن ينقطع

الطالب اليها ثلاث سنوات أو أربعا لا يزاول غيرها ، وأنى لأبنائنا أن يجدوا هذا الوقت في المدارس الثانوية فضلا عن الابتدائية ، ليس للاولاد في المدارس سوى ثلاث ساعات أو ساعتين في الاسبوع مخصصتين للنحو في بعض الصفوف دون بعض ، ولا يتسع الوقت لأكثر من ذلك لانهم مطالبون في الاوقات الاخرى بعلوم دينية وأدبية اخرى مع العلوم العصرية التي أصبحت ضرورية لماشهم وازدهار مستقبلهم ؛ وهذه الساعات لا تسع الدراسة بكتب ابن مالك وابن هشام مثلا بل لا تصلح لها مقدمة ابن اجروم نفسها كما سنبينه بعد . ان هذه المدارس الدولية ابتدائية وثانوية هي اهم ما يعتمد الآن عليه في حفظ اللغة والعلوم العربية لكثرتها وانتظام سيرها ولولاها لكانت لغتنا في خطر ، إذاً فالضرورة قاضية علينا بتأليف كتب تنطبق على حاجة ابنائنا تصلح للدراسة في فني النحو والصرف وغيرهما من الفنون ؛ فمن المتعين علينا ان نؤلف كتباً وطنية دراسية في كل علم نحن في حاجة اليه موافقة لحاجتنا ومطابقة لتفكيرنا ، وتكون على ثلاثة اصناف : صنف للمدارس الابتدائية وصنف للثانوية وصنف للنهائية ، فالصنف الاول يجمع بعض قواعد النحو وهي الضرورية منها التي لابد منها في إصلاح المنطق والكتابة كما تقدم ، وقد رأيت من هذا الصنف جملة الفت في الشام ومصر وغيرهما ، وتقع الدراسة ببعض منها في المدارس الدولية عندنا في المغرب

ولكنها لم تسلم من نقد وقليلة لم تتمكن من تعميم التعليم بها لقلة ما يرد منها وغلاء اثمانها غلاء مشطاً ، ولم يستحسن احد ادخالها في تعليم القرويين الابتدائي ، فالواجب على علماء افريقية الشمالية أن يؤلفوا مثلها مما يسلم من النقد تنشره ادارة المعارف على نفقتها ليعم التعليم به في جميع البلاد الافريقية ، لان اختلاف التعليم والاسلوب مضرة ، فكم من طالب ينتقل مع والديه من مدينة الى مدينة او من مدرسة إلى اخرى في مدينة واحدة فيختلف عليه الكتاب الذي يدرس به وتضيع ايام الدراسة عليه ، وكم من واحد بدأ أول السنة بمدرسة بسفينة النجاة السورية ، فقرأ أحكام الافعال دون الاسماء ، ولما انتقل وسط السنة لمدرسة أخرى تقرأ بالاجرومية مثلا وجدهم قرأوا أحكام الاسماء وهو لم يقرأها ، فضاعت عليه سنة وسقط في الامتحان طبعاً حيث الامتحان عندنا في العربي مثل الفرنسوي سواسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصنف الثاني : كتب تؤلف لتلاميذ الثانويات تكون أجمع للقواعد من الاولى وأرقى تعليلا منها ، وتشتمل على جملة من شواهد الكلام الفصيح فتهيّء دارسها لان يكون منشئا خطيبا وسطا .

الصنف الثالث : كتب تؤلف لاصحاب التعليم العالي في القرويين والزيتونة وأمثالها تجمع جميع قواعد النحو ولاتشذ عنها شاذة بجميع شروط كل قاعدة وقيودها ومستثنياتها، وتأتي لكل قاعدة باصولها من الكلام العربي والقرآن العظيم والسنة الصحيحة ، وتجمع ما هو مفترق من القواعد في الالفية وشروحها ، كالاشموني وحواشيه والمغني والتسهيل وكافية ابن الحاجب وكتاب سيبويه وشروحها بحيث لا يبقى الطالب محتاجا للبحث عن قاعدة ما في كتاب من كتب النحو المتفرقة والتي لا يتيسر لكل أحد امتلاكها ، وتهيئه لان يصير منشئا خطيبا من الدرجة الاولى عربيا قحا .

لا أريد كتبا تختصر من الكتب السالفة الذكر اختصارا بل أريد ممن يؤلف في النحو كتب الدراسة أن يثور ثورة مهولة جريئة على النحويين فيكسر السجن الذي سجنونا وسجنوا فيه أنفسهم ، ويطلقنا من ربقة أفكار المؤلفين ولا سيما المتأخرين ، فينبذ وراء ظهره الاسلوب الذي التزموه وهو تضخيم علم النحو وتكثيره وصيرورته علما عظيم الجثة بالعمامة والثياب حتى صار شبحا مخوفا فحرموا من النفع به عموم الامة وكانوا سببا في ابعادها عن لغة القرآن وعن لغتها المحبوبة وحرموها من التقدم وزوال الامية .

أريد ممن يؤلف أن يقلب وضعية العلم رأسا على عقب اعرابا وتصريفا

(١) فلينبذ تلك التعاريف المعقدة التي أول من جاء بها الرماني ، والتي الجانا إلى النزاع هل تعريف الفاعل رسم أو حد ، وقد ادخل فيه الحكم الذي هو الرفع أو العرض العام وهما لا يدخلان الحدود وهي قاعدة منطقية والمنطق يتأخر طبعا عن النحو فكيف يقدم

(٢) وليبذ عنا ما خلط بالفن من قواعد علمي المعاني والبيان اللذين هما كنتيجة لعلم النحو ويتكرر على التلميذ قراءتهما عند ما يقرؤهما في الوقت المخصص لهما وذلك مما ضخم به صاحب التصريح على التوضيح كتابه ، وأفاض فيه بحشوه مثلما فعلوا في

مبحث حروف الجر هل ينوب بعضها عن بعض مجازاً أو استعارة ، مع أن هـذا مبحث لغوي وقد كرروه حتى في علم الاصول فزادوا النحو صعوبة ، وهكذا علم الوضع أتوا بجل قواعده في علم النحو ، وكل من هذه العلوم له تآليفه ويطلب في إبانه ، ومن طلب الشيء قبل إبانه عوقب بحرمانه .

(٣) ولينبذ عنا كل حجج النحويين وتوجيهاتهم الخيالية التي ليست عليها مسحة من القبول ، وليقتصر على الاستدلال بالسماع الصحيح الذي تلقاه ثقاة أهل الفن كالخليل وسيبويه ويونس والاصمعي وأمثالهم من العرب الموثوق بعربيتهم ، فليجتنب تلك الحجج الخيالية التي هي فلسفة باردة ضخمت بها الكتب وضاع فيها الوقت ، فهم أنفسهم يقولون: اوهى من حجة نحوي ، والعرب أبعد الناس عن تلك الفلسفة الخيالية . وإن تعجب فاعجب للنحويين اخترعوا ادلة باردة سمجة ونبذ الفقهاء من كتبهم الادلة التي بنيت على الاصول القويمة والتي لا يكون الفقيه فقيها إلا اذا عرفها وحررها .

(٤) ولينبذ عنا كل خلاف كوفي أو بصري أو بغدادي وكل تحزب لفريق ضد الاخر ، فالعلم لا وطن له ، وكل قول عضده سماع صحيح فصيح لم تلجئ اليه ضرورة الشعر فصحيح مقبول ، لان من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي وزيادة الثقة مقبولة في كل فن ، فلا معنى لبقاء الخلاف بعد ثبوت السماع الا تكثير الشغب والجمود على التحيز لفريق دون آخر ولغة العرب ليست بصرية ولا كوفية .

إن جل مسائل الطب فيها خلاف ولكن الطبيب لا يعالج مرضاه بقوله في علاج هذا الداء خلاف بل يعالجه من طريقة يختارها وتترجح عنده صوابيتها ، ولو أراد تتبع الخلاف ما عالج مريضا ولماتوا كلهم قبل رفع الخلاف .

وعلى كل حال ان كل قول تجرد عن الدليل الصحيح فلينبذه ولا يعرج حتى على حكايته ويكفي ان يقول أول الكتاب كل مسالة نحوية لا تخلو من خلاف بين بصري و كوفي غالباً .

(٥) ولينبذ التأويلات البعيدة في السماع الصحيح الظاهر فان ذلك محض خيال وجحد للحق ، فتكلف التأويل هو الذى فتح على الاسلام كل ويل ، ولو فتح بابه لسقط على النحويين كل قواعدهم لانها إنما تستند للسماع الصحيح الظاهر غالباً وهو قابل للتأويل .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

(٦) وليِنبذ تعليل بعض القواعد النحوية التي انحصر أفرادها فلم تحتج لتعليل ولا لتقييد كتعليل بناء بعض الاسماء كالضمائر وأسماء الإشارة بشبه الحرف ، فالمبنيات من الاسماء محصورة وما كان عليهم إلا أن يعدوها عداً ويسكتوا عن الأوهام الباطلة فالبناء جمود كالعدم بل هو عدم اختلاف الحركة الأخيرة مهما اختلفت العوامل ، والعدم لا يعلل على أن تلك التعاليل لا تخلو من نقد وأخذ ورد مما دل على فسادها واراقة بحور المداد على بسيط من أرض الرق من غير فائدة تجتلب ، فليس هناك مجهول استنتجوه ، ولا عويص افترعوه . بالله عليكم أي حاجة بنا لمعرفة علة بناء الاسم وكون بنائه على حركة وكونها خصوص كذا ؟ كل ذلك باطل ، وجيده من الفوائد العلمية عاطل ، وإنما هو تضخيم وتطويل لما خلقه الله قصيراً وتكثير للقليل بخيال أشبه بالخبال ، ولا خطر لعربي ببال ولا إسلامي قبل خوض الفارسيين في علوم العرب ، وإنما العرب كانت تنطق حسب أذواقهم السليمة وفكرتهم البدوية البسيطة المستقيمة لا شعور لهم بما تخيله النحويون ولا بما تفلسف به الفرس البصريون والكوفيون ، ومصلحة الأمة في تقصير علم النحو فطوله ، وتقليل فضخموه ، فليجتنب المؤلف أمثال هذه الأحاجي المسترذلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٧) وليِنبذ تعقيد قواعد ليست لها فوائد وإنما هي كما الفوائد للطعام ولا طعام ، كقاعدة إن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوغ ويطيلون ذيول القاعدة ببيان المسوغات ، ثم يكثرون على ذلك بما يشبه أن يكون مبطلا له ، وهو أن المدار على حصول الفائدة ، ونسوا أنهم قعدوا قاعدة أول الفن ، إنهم لا يعتبرون من الكلام إلا ما كان مفيداً ، فأي فائدة حملت من هذه القاعدة ؟ وهكذا القاعدة الأخرى المشابهة لها أو المأخوذة منها ، وهي ان صاحب الحال لا يكون نكرة إلا بمسوغ وينوعون المسوغات ، ثم يقولون انه ورد في الصحيح بدون مسوغ صلى النبي (ص) قاعداً وصلى وراءه قوم قياماً فصار حاصل الفذلكة صفراً .

وكقاعدة ان المصدر المنكر لا يكون حالا بقياس وإنما هو موقوف على السماع مع وروده بكثرة في الكلام الفصيح ومع الثبوت المستفيض لم يبق ما يوجب تحجير القياس مع ثبوت إطلاق المصدر على اسم الفاعل واسم المفعول ، ما ذاك إلا خيال التوجيهات النحوية والفلسفة الباردة .

و كقاعدة أن لا يحذف الجار وينصب مجروره قياساً وابقاءه على السماع مع وروده كثيراً في الفصيح، وقد رأيناهم في مسائل أخرى إذا وردت جزئية أو جزئيتان عن العرب أباحوا القياس، والمنع مخالف لاصل القياس المبني على أن الحكم يدور مع العلة، فليس التحجير إلا من خيال الفلسفة الباردة .

وقد أقدم ابن مالك كغيره في مواضع من الالفية على نبذ التحجير المجحف كقوله:

وسبق حال مابحرف جرّ قد ابوا ولا أمنعه فقد ورد

و كقوله في منع العطف على ضمير الرفع المتصل :

وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا

فبأمثال هذه القواعد وهذه التحجيرات والنزاع فيها وفي توجيهاتها الفلسفية الباردة طال علم النحو وضخم ومصيبة الامية جاءت الامة من طوله وضخامته .

(٩) ولينبذ وراء ظهره أن يذكر في تآليف الدراسة الابتدائية ما لا يصل إلى فهمه أهلها مثل تعريف الكلام والكلم والكلمة واللفظ والمقيد الخ . . فتعريف أمثال هذه الامور لا يحتاج اليها المتوسط ولا تفيده ولا يجوز إتعابه وإتلاف وقته فيها فضلاً عن المبتدئ لقلة جدواها وإنما فيها إرهاب طالب النحو إذ يجد هذه المسائل الصعبة القليلة الجدوى في أوله فيظنه كله صعباً فيذهب مهرولا ويترك لهم نحوهم يقيمون زيدهم ويضربون عمرهم .

ومثل ذلك تعريف الاعراب والاختلاف فيه هل هو لفظي أو معنوي . وما أبعد تلك التدقيقات عن المبتدئين بل عن المتوسطين وما أقل جـدواها وما أكثر الوقت الذي يضيع فيها .

ومن ذلك الاشتغال في كون تقسيم الكلام إلى اسم والى فعل وإلى حرف ، هل من تقسيم الكلي الى جزئياته أو الكل إلى أجزائه ، ثم انهم اعترضوا الكل وأظلموا المسالك بمصطلحات منطقية لا تطاب ولا تفهم إلا بعد تحصيل جملة من النحو . فيالله من قوم لم يرق في أعينهم إلا أن يكون طريق النحو وعراً مظلماً ، وهكذا ما دمت سائراً مع أبواب النحو تجدهم فتحوا الباب بقولهم باب كذا ثم في أول قاعـدة أو ثانيتها تجدهم أوصدوه بل جعلوا عليه رصداً وطلسمات بأنواع من الصعوبات ليطردوا الناس عن لغتهم

ويصعبوها عليهم ، وهي من أسهل اللغات وأكثر الصعوبة خلط فلسفة النحو بالنحو وكان ينبغي أن تجعل كتب فلسفة النحو مستقلة للمتخصصين فيه ، وليس عملهم هذا خاصاً بالنحو بل هو داء عياء وصلت عدواه إلى سائر العلوم العربية .

فهذا علم البيان أكثروا فيه من الخيال فصيروه صعب المرتقى ، وقد كان ثمرة يانعة دانية وضخموه بخلافات السكاكي والزمخشري وغيرهما ، حتى انك إذا تطلبت قاعدة من قواعده نقية لم تجدها إلا في وسط مستنقعات من الاوهام والابحاث الجوفاء بل حتى تخوض لأجلها بحوراً من التمويهات السرابية

وهكذا علم أصول الفقه ضخموه بعلم المنطق والجدل واللغة والتوحيد ، حتى التصوف ، فصار علم الاصول وسط هذه العلوم لا يبصر إلا بمكبرة كاشفة ، كهلال تحت الغمام .

أما علم اللغة الذي هو سماع محض فلم تجد الفاقة منفذاً اليه فقد ضربوا دونه سداً بالالفاظ الاختصارية فلا بد لمن أراد الكشف عن لفظة أن يغوص قاموس التعمية الذي اختصر صاحبه سفراً فأوجب على شارحه عشراً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أناشدكم الله أيها المؤتمرون أن تأخذوا بيد هذه اللغة العربية الجميلة الراقية من أصل وضعها والتي أضاعها أهلها ، وقضى عليها حب الفخفخة العلمية والاباحة العرفانية ، فقضى عليها تكبير العلم وتصغير التأليف ، فبينما هم يريدون تكبير العلم وتصييره في صف العلوم الواسعة الطويلة العريضة إذا بهم يصغرون التأليف فيتسابقون الى الاختصار إلى أن يصلوا حد الالغاز والتعمية فيحوجونا إلى أسفار الشروح والحواشي ، فنريد ممن يؤلف ان تكون لهبراعة تامة وفكر وقاد ومقدرة واسعة ومبدأ صحيح وجرأة نادرة فلا يختصر لنا ما هو مختصر أو مطول ، ولا يوضح لنا ما هو محتاج لايضاح فقط بل يقلب وضعية العلم ويتصرف تصرف الناقد البصير ويستخلص القواعد النحوية أو البيانية أو غيرهما استخلاصاً صحيحاً بفكر مستقل ، فلا يدخل فناً في فن ولا يكثر من القشور حتى يخفى اللب ، ولا يكثر في العلم من الفلسفات الخيالية الباردة ، بل يقتصر على القواعد الصحيحة النقية يفرغها في قالب عربي صميم مصقول على نسق تآليف المتقدمين بحيث يستغني في كل تأليف عن أي شرح أو تكملة بل يكون كافياً للصف الذي الف لاجله مفهوماً بنفسه من غير تشتيت للضمائر ولا احتياج إلى تقدير مضاف ولا احداث اصطلاح لكل كتاب

بل يكون اسلوب التآليف اسلوباً عربياً قحاً سالما من كل ايهام أو ابهام أو لكنة أو تعقيد وانما هو مرد مسائل كل فن وقواعده مستغنياً بالتنصيص عن التعويص من غير تطويل ولا زيادة على المقصود من الفن ولا اختصار مخل به .

ويكثر في الكتب الابتدائية من الامثلة والتمرينات ، وفي غيرها يكثر من الشواهد العربية والجمل الفصحى والكلام العالي ومهما أتى بقاعدة ساقها تامة القيود والشروط والمستثنيات الى غير ذلك مما تقدم . هذا واننا لمحتاجون لكتب التلاوة والاملاء والمطالعة تكون قواليها وتراكيب جملها عربية فصحى وتكون مشكولة بأتقن ضبط الا انها تختلف باختلاف أصناف التعليم ، فالتي تكون للثانوي أعلى من التعليم الابتدائي ولكن كلها يكون معانيها في الاخلاق والتهذيب اذ الامة بأخلاقها ونحن احوج ما يكون لتكوين امة مهذبة ذات أخلاق اسلامية عالية ، بل نحن احوج الى التهذيب منا الى التعليم ، فالاحسن والواجب ان تكون كتب التلاوة والاملاء كلها كتب أخلاق وتهذيب يستفيد التلميذ من معناها اهتداءه وروحه ، ومن الفاظها وحسن تراكيبها لاصلاح لسانه ولهجته وتدريبه على الفصاحة والبلاغة والاخذ بفصيح البيان ، ولا بد من مزج الكتب الثانوية منها بجوامع كلمه عليه السلام وبآيات الاخلاق وأحاديثها الصحاح وامثال العرب وخطب الخلفاء وحكم الحكماء وغيرها مما هو راجع للاخلاق والتهذيب وذلك افضل من حكايات ماشت بها كتب جعلت لهذا الغرض كبحر الادب الذي يدرس به التلاوة في مدارسنا المغربية الدولية .

وانا لمحتاجون الى معجم لغوي يجمع كل ما في القاموس وشرحه وتكملته وصلته وذيله الذي ذيل به صاحب الشرح (مؤلف له خطي مستقل موجود جله بمكتبة القرويين) وكل ما في اللسان وغيره من المعاجم المعروفة بحيث ان من راجع مادة منه ايقن واطمأن خاطره انه حصل منها على المراد ولم تبق نفسه متشوفة لسواه ، ولا يقتصر على ما اقتصر عليه صاحب اقرب الموارد فانه اخل بشيء كثير من الفن .

ومحتاجون الى معجم عصري يجمع دوال الاشياء المستحدثة اما من صميم العربية ان وجد لها لفظا والا فيكون بالوضع الجديد على نسق ما كان يفعله أسلافنا عند ترجمة كتب اليونان وغيرهم ؟

محمد الحجوي الثعالبي

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٥

١٢ — المعرب والتعريب

المعرب : ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها . واشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تتلقاه العرب من العجم نكرة مثل ابريسم وجوقة وسرادب ، فإذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحاق فلا يسمى معرباً ، وانما يسمى اعجمياً . ومن هذا تعلم ان التعريب : هو نقل الكلمة من لغة أجنبية الى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ويسمى الاعراب ايضاً مثال ما تغير عند التعريب (شكر) فانه معرب (سكر) و (اقليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليد) و (بنفسج) فانه معرب (بنفشه) و (هنزمن) معرب (انجمن) لمجمع الناس . ومثال ما عرب من غير تغيير (نوروز) و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان استمداد لغة من أخرى يعد من أسباب نمائها . فالتعريب بالنسبة للغة العربية أحد عوامل توسيعها ، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلم غير يسيرة من لغات شتى وأكلتها مستمرئة وهضمتها هضماً ، حتى أصبحت من لحمها ودمها ، وما في ذلك عليها من عاب ، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات الحية ، تفتقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية ، وفي عداد هذه الاغذية ما تنتزعه لغة من أخرى من مختلف الكلم ، هذا اذا كانت اللغة قوية البنية ، وإلا فقد تكون بعض اللغات مرعى خصيباً لبعض آخر ، تأكل منها ما تشاء وتذر ما تشاء ، كما وقع للغة التركية فانها عاشت بجارتيها العربية والفارسية وأكلت منها أكل النهم الشره ، ولكنها بشمت ، وعسر عليها هضم ما ازدردته ، فحارت في أمرها ولم تزل حائرة ، وما ذلك

إلا لضعف بنيتها الاصلية وعاهات كانت ألمت بها منذ الطفولة على ما يظهر .

أما لغتنا العزيزة فهي - ولله الحمد - من أقوى اللغات على المضم والتمثيل ، تنتزع اللفظة من أي لغة شاءت ثم تزدردها فلا تبرح أن تهضمها وتمثلها أيما تمثيل ، وتجري عليها تصاريفها وتصبح كأنها من الصميم منها . حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا الباب كل الحيرة ويتعسر بل يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمييز الاصيل من الدخيل ، حتى أدى الامر ببعضهم إلى انكار أن يكون فيها شيء من غيرها البتة ، وانقلب الامر على آخرين فأخذوا يشككون عراها ، وينكثونها نكثاً ، ويخرجون ما هو منها في الذؤابة فينسبونه الى غير أصله ، ويردونه الى غير اهله . وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه الناحية حتى أخرجوا لفظ (الادب) من صميم لغة العرب وهذا - لعمرك - شذوذ في الشذوذ وتطرف في التطرف . ولسنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن ، لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام . ولكنا نريد ان نقول : ان أهم ما يجتنيه الباحث من الشعر في باب التعريب هو الإلمام بطرقه المختلفة التي سار عليها أسلافنا ، لان معرفة تلك الطرق ، وسبر منعرجاتها من اهم ما نستعين به في تذليل ما نحن بسبيله من العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفقت أنهارها . نحن لا نشك في أن أولينا كانوا يسيرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ، لا يكلفونها فوق طاقتها ، ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ويشبع نهمتها ، حتى أوصلوها الى ما أوصلوها اليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان ، فوعت عنهم ما شاؤا أن يوعوها من علم وادب ، ولم تضق ذرعاً بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس كما لم يبخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة .

فهل يشك متأدب اليوم بان اللغة بعد مجيء القرآن الكريم والنهضة الاسلامية غيرها قبلهما ، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر الاسلام . فاذا قارنت بين لغة العلوم اللسانية ، والشرعية ، والكونية ، ولغة عرب الجاهلية ، تجد البون بعيدا ، والمسافة قصية . وهل يرتاب مرتاب في أن لغة الغزالي ، والرازي ، وابن رشد ، في تآليفهم تختلف عن لغة امرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وان لغة هؤلاء لو لم يتعهدها أهل

المعرفة بالخدمة ، والتوضيح ، والصقل ، والتهذيب لضاقت ذرعاً بتلك العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة .

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتهيب وما علينا إلا أن نشق لنا طريقاً لاحباً من بين هذه العقاب المنيفة ، ونتخذ من أعمال أولينا مناراً نأتم به في عملنا ، ونستنير به في هذه السبيل . ولهذا كان من واجب أبناء العربية لهذا العهد أن يقتلوا هذه الناحية بحثاً ليعرفوا ما يأتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للغتهم هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الافكار تطوراً هائلا ، وصار من البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنيها كتفاً لكتف ، وسنشير في آخر هذه المحاضرة إلى نماذج من طرق التعريب التي سلكها الاولون . وعلى الباحث بعد أن يرجع إلى ما أفرده العلماء من التآليف المهمة في هذا الباب الواسع .

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ، ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها ، وكيفية استعمالها ، يغني عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة . قالوا : ولا سيما بعد أن نحكم بان اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعيرة ، ويكون له ما للأصيل ، وعليه ما عليه .

فأي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله ، والرجوع إلى سنخه ، وهل هذا إلا ضرب من ضروب العبث ، ولون من ألوان اللهو بالباطل ؟ ! وذهب آخرون إلى أن هذه المباحث جمة الفوائد ، كثيرة الثمر ، وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها ، وعوامل بقائها ، إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية اللغوية .

بماذا يعرف المعرب ؟

الأصل في كل كلمة تستعملها العرب أن تكون عربية النجار ، إلى أن يقوم الدليل القاطع على أنها معربة . ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقارنتها كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية ، إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلا ، وقد نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة (الجمل) فانها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب

إلى لغاتهم كما قد تكون الكلمة أصلا في أكثر من لغة ، لأنها موروثة من لغة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات ، مثال ذلك كلمة (أرض) المستعملة في العربية والانكليزية وغيرهما . فان الارض معمورة بالامم منذ وجدت الامم فلا يعقل أن أمة من الامم بقيت لا تعرف للارض اسما إلى أن سمعته من أمة أخرى فاستعارته منها ، هذا أمر تحيله العادة .

وهذا الباب من أضيق الابواب واغمضها ، ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز أوعر المسالك واصعبها . ومن ثم نجد أقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل ، فتراهم حيرى كأنهم يدورون في حلقة مفرغة ، فبينا تراهم ينسبون كلمات هي من العربية في الصميم ، الى نجار عجمي ، اذ تراهم يلصقون بالعربية كلمات هي من صميم العجمية ، واذا طالبتهم بالدليل سلكوا بك بنيات الطريق ، وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ، ورضيت من الغنيمة بالاياب . وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على ضآلتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوده :ــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احدها = النقل بأن ينقل ذلك احد أعلام العربية

الثاني = خروج الكلمة عن أوزان الاسماء العربية مثل الابريسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الاسماء العربية ولذلك اختلفوا في ضبطه ـ لانهم قد يخلطون فيا ليس من كلامهم ـ ولو كان من الأوزان العربية لما أخطأهم ضبطه ، ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف .

الثالث = ان يكون أول الاسم نونا بعد راء مثل (نرجس) فانه معرب(نر گس)

الرابع = أن يكون آخر الكلمة زايا بعد دال مثل (مهندز) ولذلك قالوا فيه (مهندس) ليبعدوا عما لا ألف لهم به .

الخامس = أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجص) فانهما معربان من (كوجان) و (كج)

السادس = ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل (منجنيق) للآلة الحربية المعروفة .

و (الجردقة) للرغيف و (الجرموق) للذي يلبس فوق الخف و (أجوسق) للقصر و (الجوالق) للوعاء المعروف (بإسم چواله) و(الجلاقق) للبندق و(الجوقة) للجماعة من الناس ٠

السابع = أن يكون الاسم رباعياً أو خماسياً وهو خال من أحد حروف الذلاقة وهي (ب ر ف ل م ن) يجمعها قولك (فرَّ منْ لبّ) وهي أخف الحروف ، ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض هذه الحروف لتنحو بها نحو الخفة مثل (الزاووق) فانه لغة في (الزئبق) وشذ عن هذا الاصل كلمة (عسجد) فإنهم قالوا بعربيتها، مع أنها رباعية خالية من حروف الذلاقة وقال الأزهري في التهذيب ــ متعقباً على الوجه الخامس ــ قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات العربية من ذلك قولهم : جصص الجرو إذا فتح عينيه ، وجصص فلان اناءه إذا ملأه ٠ والصنج ضرب الحديد بالحديد ٠

الثامن = ان تجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل (الطازج) فإنه معرب (تازه) وهو الطري ٠

التاسع = ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل (الاصطفلية) وهي الجزرة فانها معربة ، وأما الصراط فالصاد فيه بدل من السين إذ أصله (السراط) مأخوذ من السرط وهو الابتلاع بكثرة ٠

العاشر = أن يجتمع في الاسم السين والذال مثل (ساذج) فإنه معرب (ساده) وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون على لون واحد لا يخالط غيره ٠

الحادي عشر = أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (سذاب) وهي بقلة معروفة فإنها معربة ٠

الثاني عشر = أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة لان الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات ، فكلمة التفليش بمعنى الهدم ليست بعربية بخلاف كلمة شغل ، وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

هذا مجمل ما وضعه الاولون من الأعلام في هذه السبيل ، وقد توصل علماء اللغات لهذا العهد الى أصول في هذا الباب كان يعز على الاقدمين الوصول إلى بعضها ، وماذلك إلا لانصراف جماعات المستشرقين إلى دراسة اللغات المختلفة ، ولا سيما القديمة منها والايغال في أحشاء القرون البعيدة ، واستثارة دفائنها ، وبذل الوسع في دراسة أصول اللغات وفقهها ، والإحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها ، وقد صدروا عن هذه المباحث وهم يعلمون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد ، فإذا حكموا في هذا الباب فحكمهم الفصل ، واليهم فيه يرجع أمر العقد والحل .

ومن أمثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : إذا اتفقت كلمتان في لغتين لفظاً ومعنى ، و كان بين أهل هاتين اللغتين صلات جغرافية أو تجارية أو سياسية أو نحوها مباشرة أو بالواسطة ينظر ، فإذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح إحدى تينك الامتين ، أو من مصنوعاتهم أو من منتوجات بلادهم ومحاصيلها ، يرجع أن يكون أصلا في تلك اللغة ، منقولا منها الى غيرها ، مثال ذلك الساعة ، فإن العرب كانت تطلقها على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما أبدعوا الآلة المعروفة التي تدل على أجزاء الزمن وتعيينها أطلقوا عليها هذه اللفظة ، فهم أسبق الامم إلى تسمية هذه الآلة بهذا الاسم، فإذا سمعنا الفرس أوالترك مثلا استعملوا هذه اللفظة بهذا المعنى،نقطع بأنهم استعاروها من اللغة العربية ؛ ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم لسانهم مثل عطف و إضافة وتمييز وغيرها ، فإذا رأينا بعض الامم الشرقية استعملت هذه المصطلحات في معانيها عند العرب أو في معان تقرب منها نجزم بأنهم استعاروها من اللغة العربية ، هذا اذا علمنا بأن العرب دونوا هذه المصطلحات قبل غيرهم ، ومن ذلك كلمة القهوة فإنها موجودة في العربية وفي معظم لغات العالم فاذا علمنا أن العرب كانوا يطلقون هذه اللفظة على الخمرة ثم أطلقوها على هذه الثمرة المخصوصة المسماة بالبن . وهي من منتوجات بلاد البن في الاصل ومنها انتقلت إلى البلاد الاخرى،إذا علمنا هذا نقطع بأن هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار،ومن ذلك (الجمل) و (الغزال) ونحوها من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب أو كانت خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا علمنا أن المسك مثلا ينتج في بلاد التبت والصين وبعض بلاد الهند ومنها ينقل إلى سائر بلاد العالم ، وعلمنا أن هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية والفارسية والعربية وغيرها ، نعلم أن هذه اللفظة بمعناها هذا سنسكريتية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات مباشرة أو بالواسطة؛ ومثل ذلك (الكافور) فانه في السنسكريتية وغيرها ، ولكنا إذا عرفنا أن مصدر هذا النوع من الطيب بلاد الصين واليابان وملقاء وان اسمه باللغة الملقية (كابور) عرفنا أنها كلة ملقية الاصل ومنها انتقلت الى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية (بيالا) أو (ففالا) والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر ·

قلنا إن المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا الى استثارة دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ودرسوا أصولها درساً دقيقاً واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة ، والصرف والنحو وغيرها ، وبذلك توصلوا الى معارف جمة وعلوم مهمة وقد أرجعوا كل طائفة من اللغات الى أصل واحد؛وهذا الاصل اما أن يكون باقياً أو مندثراً ، فأصول الباقية هي التي سارع أهلوها الى تدوينها منذ العصور العريقة بالقدم، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طبقات القرون الخالية؛أما فروعها فنمت واورقت ثم أثمرت ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر ·

فإذا ذهبنا الى القول بان اللغة العربية والعبرانية والكلدانية ــ مثلا ــ بنات لام واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم أن كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات فاذا رأينا لفظة في أكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد أو على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون اخرى بل نرجع أن تكون هذه اللفظة من ميراث اللغات الام ، فهي أصل في كل منها · وبالعكس اذا وجدوا لفظة في احدى هذه اللغات تخلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها أصلا في هذه اللغة ·

وعلى هذا وضعوا قاعدة اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظة في لغتين أو أكثر ترجع الى اصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات احدى اللغتين أو اللغات يرجحون انتسابها الى اللغة الاخرى،مثال ذلك اذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يجدوها في العربية ولا الكلدانية يرجحون انها مصرية الاصل وان العبرية استعارتها من المصرية .

هل التغيير ضروري في التعريب

من الكلمات المعربة ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل (بخت) و (نوروز) ومنها ما يجري عليه التغيير يسيراً كان أو كثيراً .

والاصل في هذا الباب عدم التغيير وابقاء الاصل على حاله الا اذا دعت الى التغيير ضرورة ، فيصار اليه ؛ ولكن التغيير يكون بقدر ما قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ومع هذا فانا كثيراً ما نجد تغييراً لا تدعو اليه الحاجة ولا تقضي به الضرورة ، مثال ذلك (الكمك) فانه معرب من (كاك) قلبت الفه عيناً من غير ضرورة داعية . و (الدهقان) معرب (ده خان) اي رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغيير لازم وآخر غير لازم مثل كلمة (البد) بمعنى الصنم ، فانه معرب (بت) قلبت فيه الباء الفارسية المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لئلا يدخل في الحروف العربية ما ليس منها ، وقلبت التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر .

وأسباب التغيير كثيرة . منها : اشتمال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك في أول هذا البحث ؛ ومنها أن يكون في الكلمة الاعجمية حركة لا وجود لها في العربية أو هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة (زور) بمعنى القوة ، فانها معربة من كلمة (زور) بضمة مشوبة بالفتحة ، فأبدلت عند التعريب بضمة خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة ؛ ومنها الثقل (ناي) آلة الطرب المعروفة فانها معرب (ناي نرمين) وقد حذف شطرها الثاني للخفة ؛ ومنها نقص الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل (صك) تشديد الكاف فانه معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً ، ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدوءة بحرف ساكن ، فيضطر عند التعريب الى تحريكه أو زيادة همزة قبله مثل (هليلج) و (أهليلج) معرب (هليلة) وهو الثمر المعروف ؛ ومنها أن يجتمع

في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان سكونا على غير حده فيحرك أحدهما مثل (ابزن) تعريب (آبزن) كما تقدم ، ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فإن كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية مثل (دوره) لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و (لوزينه) لنوع من الحلوى و (روزونه) للكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيماً وهو الاكثر ، وربما قلبوها قافاً أو تاء فقالوا (لوزينج) و (زورق) و (روزنة) وقد تقلب هذه الهاء كافاً وعليه عربوا كلمة «نيزه» وهو الرمح القصير على «نيزك» .

وأسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الاعلام في وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الإمكان حتى قال بعضهم : يجب صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب أن ننطق بها كما ينطق بها أهلها من غير أدنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه صعب التطبيق ، لان الحكم على الالسنة باجراء ما لا عهد لها به أمر غير يسير ، كما يشهد به الواقع .

يتبع — طه الراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأخبار

حول مقالة (الطموح عند المتنبي)

كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ

(أكثر من كتب في هذه الأيام عن المتنبي كان قوله في هذين الرجلين نحواً من أقوال المتنبي فيهما ، تأثروا بشعر المتنبي في مدح الاول وذم الثاني . ولم أر فيهم من نصب ميزان الحق بينهما فقال كلمة التاريخ ، بل كلهم أعاد قول الشاعر الذي يتجه جهة الريح ولا يؤخره عن هجاء امرئ في الغد ما أطنب في مدحه أمس . إلا أن أحداً لم يقل فيهما ما قال حضرة الفاضل الذي نناقشه بكلمتنا هذه)

قرأت في العدد العاشر من هذه المجلة كلمة الاستاذ احمد رضا في (روح الطموح عند المتنبي) وقد جره الاسترسال في الكلام ـ وهو في موقف المؤرخ الأمين ـ إلى أن يقول ص٣٦٧ من مجلة المجمع لهذه السنة بعد أن أورد طائفة من مدائح المتنبي في كافور :

« يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي أذنه في يد النخاس دامية ، وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه ما لا يقبله من سيف الدولة فيخضع للإنشاد بحضرته قائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالا كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بحد . » اه

هذا قول إذ تنكره الحقيقة والتاريخ كل الإنكار ، وما كان لمؤرخ أن يصدر حكماً على رجل لقول شاعر فيه ، وضلال كبير أن نعتمد على المتنبي في القضاء بين سيف الدولة وكافور ، بل هو نفسه مدح كافوراً ثم هجاه وقد بالغ في حاليه هاتين مبالغة منكرة

فبأيتهما نأخذ ؟ وإذا ساغ لصاحب الفن المولع بالجمال أن يستعذب أماديح الشاعر أو أهاجيه ، فإن على المؤرخ أن يطرحها طرحاً وألا يقيم لها حساباً إذا علم أنها لا ترجع إلا إلى سرور الشاعر بالعطاء أو غيظه من الحرمان .

وما عيب الشعر العربي بشيء أشنع من أبواب المديح فيه ، وليت الزمن ذهب بهذه الثروة منه صفقة واحدة فأفناها غير مأسوف عليها ، إذاً لقرت عين الأدب والفن والكرامة ولارتفع الشعر عن دركات الاستجداء الشائن .

هذا وأول أدوات المؤرخ التي لا يكون مؤرخاً إلا بها ، التجرد والإنصاف ووزن الاقوال وما لابسها من ظروف ، ثم التروي والاناة والاستقصاء،حتى إذا اطمأن المؤرخ الى مابذل من جهد أصدر حكمه بكل هدوء ، اصدار من يعرف أن الله سيسأله عن كل حرف سطره : ما هي حجته فيه .

فلاشرع في بيان ما أنكر من هذا القول الذي أتى به الاستاذ :

أ — اما كون كافور عبداً فليس بضائره عند التاريخ الذي لا يحكم على امرئ الا بأعماله ، عبداً كان أو حراً ، وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية كافة على إسقاط هذا الذي يزعم فرقاً بين خلق الله ، فالعبد كالحر والحر كالعبد في نظر الحق لا يرفع الإنسان الا صالح عمله .

ب — واما كونه زنيا فهذا ما أسأل الاستاذ إقامة البينة عليه من التاريخ، أسأله ذلك بإلحاف ولا أقيله من الجواب عليه البتة .

ج — وأما التفاوت في الادب فهو صحيح كما ذهب اليه الاستاذ في إثباته ، وأنا أسلمه له مع إبائي أشد الإباء الشكل الذي وردت عليه عبارته .

د — وأما النسب والشرف فعجيب والله ذكرهما على سبيل المفاضلة . نعم كان ذلك في زمن مضى من الجاهلية أو من عصور الجهل والظلم ، فلما أتى الإسلام أبطله وهدمه تهديماً أقر عيون كل منصف حر في أقطار الارض .

ولا تنس ان من اكبر حسنات الإسلام جعله الناس كلهم طبقة واحدة ، وبهذا قضى على ظلم فارس والروم وغيرهما من الامم التي كان فيها طبقات ، فيها الملوك وفيها الاشراف وفيها التجار وفيها العبيد . . . وكانت كل طبقة تسوم من دونها سوء

العذاب . فلما رحم الله الناس بالإسلام جهر كتابه بهذه الآية العظيمة الخالدة : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم .)

وافرض ايها الاستاذ أن في تقاليد اليوم ما يجعل هذه الفروق معتبرة ، أفيسوغ لك وأنت المؤرخ الباحث ان تدخلها في جريدة الحسنات والسيئات فتجعل النسب مما يتفاضل به الناس في نظر التاريخ ؟

والاسلام هو الذي يقول قرآنه:(تبت يدا أبي لهب) وأنت تعلم ان ابا لهب ينتسب الى اشرف بيت من بيوت العرب ، هو ابن عبد المطلب وعم رسول الله ذروة سنام الشرف وغاية ما يعتز به النسب . وكتاب الاسلام هو القائل في ولد نوح : (يانوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح) فأنت ترى في هذه الآية الفصل فيما بيننا فهي اسقطت نسب الدم واثبتت نسب العمل ، والامر كذلك في الواقع والحق ، فنسب الانسان عمله ولا يخفى على احد الحديث القائل بأن الله أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب .

٥ - واما قولك : هذا درة وهذا بعرة فهو ما استهجنه كل الاستهجان لانك إن كنت تعني الخلقة فليس امرها الى كافور ولا الى سيف الدولة حتى نعيب الاول بتشويه صورته أو نثني على الثاني بتحسينها ، امر ذلك يا مولاي الى الله ، ومهما ترقى سيف الدولة في مراتب الجمال ومهما تدنى كافور في القبح فانا لا نغفر لك ان تشبه آدمياً بالبعرة والمحاريب يتعالى فيها كل يوم قول الله عز وجل « ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقوله : « ولقد كرمنا بني آدم » .

وإن كنت تعني بتشبيهك هـذا بالدرة وذلك بالبعرة فارقاً معنوياً مرجعه الى ما أدى كل منهما لرعيته من خدمة فهذا غير مسلّم لك .

وسأثبت لك شهادة المؤرخين في ان الامر على عكس ماذهبت اليه ، وان التاريخ يذكر سيف الدولة في عداد السفاكين الظالمين الذين استحلوا كل ما حرم رسول الإنسانية (ص) في قوله « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ويذكره مع

الذين اشقوا رعيتهم وفتنوها ، والتاريخ يعد كافوراً في طبقة الملوك الصالحين الحصيفين. وهاك براهيني :

١ — قال المؤرخ الذهبي في كافور : «وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول : اللهم لا تسلط عليّ مخلوقاً » وقال « وكان يرسل كل ليلة عيد وقر بغل دراهم في صرر بأسماء من لو سلت اليهم من العلماء والزهاد والفقراء » .

٢ — جاء في كتاب دول الإسلام ج ١ ص ١٧٣ في حوادث سنة ٣٥٦هـ (وفيها مات كافور وكان عجباً في العقل والشجاعة » .

٣ — جاء في وفيات الأعيان في ترجمة كافور : « وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس وغير ذلك ، وكانت أيامه سديدة جميلة » .

هذا كافور ، فأما سيف الدولة فاليك شذرات من أقوال المؤرخين فيه :

٤ — جاء في خطط الشام ج ١ ص ٢١٧ : « كان سيف الدولة يسير هو والشريف العقيقي بضواحي دمشق ، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال له العقيقي : هي لأقوام كثيرة . فقال سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين السلطانية ليتبرؤن منها . فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجاءهم » اه .

٥ — وذكر الأزدي سيف الدولة فقال : « كان سيف الدولة معجباً برأيه محباً للفخر والبذخ ، مفرطاً في السخاء والكرم ، شديد الاحتمال لمناظريه والعجب بآرائه سعيداً مظفراً في حروبه ، جائراً على رعيته ، اشتد بكاء الناس منه وعليه » . واذا علمت مصادر هذه الأموال التي كان بها سيف الدولة مفرطاً في السخاء والبذخ لم يعجبك سخاؤه ولا بذخه ، فقد قال صاحب الخطط بعد هذا : « نعم كان سيف الدولة جائراً على رعيته يخرب قرية ليجيز شاعراً مدحه بقصيدة » ثم قال : (الخطط ج ١ ص ٢٢٣) « لقد استحل سيف الدولة للقيام بهذه الأبهة الضخمة في مملكته الصغيرة مصادرة رعيته ، فكان قاضيه أبو الحصين يقول : « كل من هلك فلسيف الدولة

ما ترك » ، ولذلك كانت مصادرة كل غني من التجار وغيرهم فخربت البلاد الشمالية في أيامه » .

وما أحسن ما ذيّل الأستاذ الكرد علي على كلامه في سيف الدولة حين قال : « وفي باب كرمه غرائب بسطت في كتب الأدب ، وكلها على ما فيها من المفاخر في خدمة اللغة والشعر تحمل في مطاويها مساوئ الظلم وإعنات الرعية ، فسيف الدولة ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وحسناته اكثر . » اه

وأنا اشك من رأي العلامة صاحب الخطط في أن حسناته أكثر لأني ارى جميع هذه الهبات وذلك السخاء المزيف لا يقوم بدرهم واحد يأخذه من رعيته ظلماً ولا ينهض لقطرة دم يسفكها بغير حق . ولا بأس في ان أثبت هنا خبراً نقله الكرد علي نفسه عن ابن حوقل . ما أظن أن أحداً فيه بقية من إنسانية ورحمة يرضى لنفسه ان يعد سيف الدولة في غير الطغاة العتاة من كبار المجرمين في التاريخ ، لما أتاه من الاجرام الشنيع

٦ — ومن كثرة مظالم سيف الدولة ان بني حبيب وهم ابناء عم بني حمدان ، كانوا ينزلون نصيبين « فلما كثر عليهم بنو حمدان من صنوف الجور حتى خرجوا بذراريهم في اثني عشر الف فارس إلى الروم وتنصروا بأجمعهم ثم عادوا الى بلاد الاسلام على بصيرة بمضاره وعلم أسباب فساده وقلوبهم تضطرم حقداً » على ما قال ابن حوقل . وأخذوا يخربون القرى في الجزيرة والشام وأطمعوا صاحب الروم بأنطاكية وحلب ...) .

فهل تفي بهذه الوصمة كل ما يعد لسيف الدولة من مآثر وحسنات وعطايا وهبات ؟ مع فرضنا ان هذه العطايا وتلك الهبات من ماله الحلال لا من أموال الرعية ولا من المظالم والمصادرات .

* * *

أرأيت أيها الاستاذ (رضا) كيف ان سيف الدولة بطأ به عمله ولم يسرع به نسبه وان كافوراً أسماه وصاحبك ارض ، وقل ذلك في صفة من عمل عمله .

إن العلم والأدب أمانة فلينظر قارئ في كتاب ما ترك مؤلفه من عقله وأمانته وما اخذ ، وليتق الله قضاة التاريخ والأدب فإن المهمة شاقة والحمل ثقيل والناقد بصير .

سعيد الافغاني

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com